

"البحر الأبيض الكبير هو أمي؛ لأنه يضمني إليه بقوة، ويمسكني ولا يفلتني أبداً"



سَحَر

صلاح الدين دميرتاش

ترجمة: ريم داوود



قصص قصيرة مترجمة



سَحَر

شكر

تأليف: صلاح الدين دميرتاش

ترجمة: ريم داوود

تحرير ومراجعة: إيزيس عاشور

مراجعة لغوية: محمد حامد بكر

الطبعة الأولى: ديسمبر 2018

رقم الإيداع: 2018/21361

الترقيم الدولي: 9789773194512

الغلاف: إسلام علام

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

60 شارع قصر العيني - 11451 - القاهرة

ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg



Originally published in the Turkish language under the title
SEHER

Copyright © Dipnot Yayınları, 2017.

Copyright © Selahattin Demirtaş, 2017.

تابعونا لمعرفة أحدث إصداراتنا



@alarabipd

صلاح الدين دميرتاش

سَحَر

رواية من تركيا

ترجمة: ريم داوود





منحة الترجمة Translation Grant

صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

بطاقة فهرسة

دميرتاش، صلاح الدين
سَحَر / تأليف صلاح الدين دميرتاش، ترجمة ريم داوود.
- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2018،

ص؛ سم.

تدمك 9789773194512

1- القصص التركية

أ- داوود، ريم (مترجم)

ب- العنوان 894.35

1

الذَّكَرُ بِدَاخِلِهِ



ساحتهُ سجننا أشبهُ ببئرٍ مُستطيلة. مُجرّد أربعة أمتار عَرْضًا، وثمانية أخرى طوًلًا؛ لكنها - مع ذلك - لا نهائية؛ إذ إنك تبدأ في تأمّل جوانبها صباحًا، ولا تنتهي هذه الرّحلة أبدًا، حتى مع حلول المساء. لا أحد يستخدم هذه السّاحة، سوايَ أنا، و"عبد الله زيدان"، الضّابط المُكلّف بحراستي، لكن هذا لا يعني أنها ملكنا، نفعل بها ما نشاء، لأننا نتشاركها مع كائنات أخرى، كالنّمل، والعناكب. واقع الأمر أنها تتصرّف كما لو كانت هي مالكة المكان، وكأن السّجن قد بُنيَ فوق بيوتها. في الحقيقة، هذا ما حدث على الأغلب. على كل حال، أتصرّف أنا و"عبد الله" بمنتهى التّهذيب على الدّوام، ما يجعل الأجواء في المكان تفيض بالاحترام المُتبادل.

النّمل مُنهمك في عملٍ جماعيٍّ دؤوبٍ، يلفت الانتباه. يشتغل بجديّة لتحقيق هدفٍ مشتركٍ هو تأسيس حياةٍ رائعة للجميع، في ركنٍ كئيبٍ من ساحة السّجن. العناكب، من جهةٍ أخرى، كائناتٌ مختلفةٌ تمامًا، تتّصف بالكسل، واللامبالاة. كما أنها غير اجتماعية. حاول مثلًا أن

تتجاذب أطراف الحديث مع إحداهما، سرعان ما ستفقد العنكبوت الخيط الذي يدور الحوار حولها.. حسنًا، إنها لا تفقد الخيط بالضبط، لكنها تُسارع بتلقُّفه، والابتعاد به؛ لتحريك به شبكة لنفسها!

هناك كائناتٌ أخرى أيضًا، كالعصافير. قام زوجٌ من العصافير ببناء عش لهما، في فتحةٍ أسفل سقف مبنى السَّجْن. استمرَّ لأيام عدة في الطيران ذهابًا وإيابًا، حاملين في منقاريهما أعوادًا من القشِّ، وقطعًا صغيرةً من أغصان الشجر. بطبيعة الحال، قامت الأنثى بتحمُّل العبء الأكبر من العمل. اكتفى الذَّكَر بحمل غصنٍ صغيرٍ في منقاره، بين الحين والآخر. أمضى بقية الوقت قابلاً على الأسلاك الشائكة المواجهة للعُشِّ، مُنهمكا في تنظيف نفسه، وتنقية ريشه. لا أودُّ تشويبه سُمعته. لعلَّه كان يقوم بالجزء الذي اتَّفقا عليه مُسبقًا، فحسب.

استغرق منهما بناء العُشِّ نحو عشرة أيام. حاولنا المساهمة قدر
الإمكان، فكنّا نترك لهما فُتات الخبز، وبعض الماء على حافّة نافذة
الزنزانة. في أحد الأيام، اقتربت منّي العصفورة، وقالت:

- باركك الله يا أخي. لو اعتمدتُ على ذلك الفاشل، لمُتنا جوعًا.
كنتُ سأضطر لتدبير مسألة الطعام، إلى جانب كل المسؤوليات الأخرى
الملقاة على عاتقي.

باغتتني المفاجأة، وسألتها:

- هل تتحدّثين إليّ أنا يا אחتي؟

- أجل. هل تفهميني؟

لم أصدّق أذنيّ. يبدو أنني لم أفقد "لغة العصافير"، والكلمات عديمة
المعنى التي كُنّا نرددها صغارًا. قُلْتُ لها:

- لا عليكِ يا سيدي. نعلمُ الجهد الذي تتطلّبُه مسألة البناء
والانتقال، لذا رأينا ألا نُحمّلكما همّ توفير الطعام أيضًا.

أضفتُ:

- أخبرينا متى ما احتجتِ إلى شيءٍ، فنحن جيران على كل حال.

أجابت:

- شكرًا يا أخي..

في تلك اللحظة، خرج العصفور من العُشِّ صائحًا:

- ما الحكاية يا امرأة؟

- لا شيء. كنتُ فقط أشكر جارنا على الطعام.

واصل صراخه:

- هيّا ادخلي!

يبدو أن العصفورة قرّرت تجاهل تصرفه التّافه، وانسحبت لداخل

العُشِّ في هدوء. حدّق بي شريكها بنظراتٍ مُتوعّدة، ثم قال أخيرًا:

- ما الأمر؟ أي خدمة؟

- كلا يا أخي. لقد كنتُ أسأل زوجتك إن كنتما بحاجة إلى..

قاطعني بحدة، ساخراً:

- أصدِّقْكَ طبعاً! لا يهم.. على كل حال، إن كان لديك شيء تودُّ

قوله، فأخبرني أنا به.

- حسناً يا أخي.

أضفتُ وأنا أغلق النافذة:

- نهارك سعيد.

بعد بضعة أيام، اكتشفنا أن العصفورة باضت. كانت هناك بيضتان

داخل العُشِّ. يبدو أن جيراننا سِرْزقان بتوأم.. توأمٍ غير مُتماثل، لكنهما

فرخان اثنان على أي حال. قُلْتُ لنفسي:

- أرجو حقاً ألا يُصبحا كأبيهما.

من الممنوع إدخال البيض النيئ إلى السُّجن. لا بأس بإدخال البيض المطبوخ، لكنَّ عيبه هو أنه لن يفسس أبدًا. بإمكانهم إصدار قوائم بالممنوعات العديدة، لكنهم سيقفون عاجزين عن مقاومة استمرار الحياة، كما حدث بالضبط. على فكرة، أدركتُ الآن فقط أن العصفورة كانت حاملًا بهاتين البيضتين، طوال فترة عملها في بناء العُشِّ. تلك الفترة التي أمضاها صديقنا المُبجل في التَّبَخُّر بخيلاء، بوجهٍ مُتجهِّم.



في أحد الأيام، استيقظت صباحًا على جلبة من عُشِّ العصفورين. لم يكن موعد فتح الباب المؤدِّي للسَّاحة قد حان بعد، لكنَّ النظر من داخل الزنزانة كان يمنحني رؤية أفضل. سرُّ باتِّجاه النافذة، لاستطلاع الأمر. تعالِ الصراخ والصياح لدرجةٍ مزعجة. ارتفع صوت قائلًا:

- إلا الغاز المسيل للدموع! من فضلكم!

حين تسمع ذلك، سيتراى لك أن شرطة مكافحة الشغب تقوم بفضّ
مظاهرة احتجاج، أو شيء من ذلك القبيل، لكنها كانت أربعة عصفير
ذكور تُحيط بالعُشِّ. أخذت تُزقزق بشكلٍ عدائيٍّ على جارينا اللذين راحا
يُقاومان الهجوم على عُشِّهما باستماتة، مُحاولين حماية بيتهما.

أدركتُ على نحوٍ ما أن هؤلاء الأربعة مُفتِّشون من "قسم بناء الأعشاش".
نفخ أحدهم ريشه، بطريقةٍ تشي بالسلطة التي يمتلكها، وصاح:

- لقد بنيتُما هذا العُشَّ دون إذنٍ، أو تصريح. لا أوْدُ سماع أي
مبررات. إمَّا أن نهدم العُشَّ..

سكت قليلاً، ثم أشار إلى البيض مُهدِّدًا، وقال:

- أو نأخذ أحد الفرخين غرامه.

ردَّد الثلاثة الباقون، كالبيغاوات:

- هذا صحيح. لا نُريد مُبررات.. لا مُبررات..

فردت الأنتى جناحيها على اتساعهما، في مدخل العُشِّ، وقالت:

- تأخذون بيتي؟ تأخذون طفلي؟

أردفت بتصميم:

- على جُنتي!

ردَّ ربُّ البيت:

- نعم.. هذا صحيح. على جُنتها!

كانت نبرات صوته غامضة بعض الشيء، فلم يُفهم منها إن كان مُعترضًا حقًا، أم أنه يطلب منهم أن يصنعوا فيه معروفًا.

اقترب رئيس فريق العصافير ومن معه من العُشِّ، وقال:

- لن أكرِّر كلامي ثانية. إمَّا أن تُطيعا القانون، وإمَّا أن أزعجَ بكُما في

السَّجن.

ما إن سمعا كلامه، حتى التفتا نحوي. التقت أعيننا، وكأُما يسألانني:

- ما رأيك يا جار؟ ما الذي ينبغي علينا فعله الآن؟

نظرتُ إليهما بتمعُّن، وكأنني أقول:

- رأيي ألا تتراجعا عن موقفكما أبداً.

صاحت العصفورة بشجاعة:

- لن أتراجع عن موقفي أبداً، مهما كلَّفني الأمر!

قال الذَّكرُ مُشجَّعاً، بصوتٍ هادرٍ:

- هذه امرأتي حقاً! لا تتراجعي أبداً.. أبداً.

فجأة، هاجمت الأنثى فريق المسؤولين. ساد الهرج الأسلاك الشائكة

للسُّجن. أنثى وحيدة تتصدَّى لأربعة مسؤولين! مشهدٌ أسطوريٌّ لمقاومةٍ

بطولية. تفاض الذَّكرُ مُتوتِّراً، وهو يستعطف المسؤولين:

- من فضلك، سيدي الكريم.. من فضلك.. هلأ توقفت؟ دقيقة واحدة يا سيدي، لا داعي لهذه الفوضى. بيضتان اثنتان أكثر من حاجتنا، على كل حال. التفتت العصفورة نحوه بنظرة ازدراء قوية، جعلته ينكمش داخل ريشه. دون مبالغة، استطاعت الأنثى بمفردها التصدي لأولئك المسؤولين الأربعة، ونجحت في طردهم وإبعادهم بعد صراع استمرَّ عشر دقائق. تمكَّنت من حلِّ المسألة، وحماية بيضها وعُشَّها، رغم شراسة الاعتداء الذي تعرَّضت له.

- عاد الذَّكر إلى مُمارسة أسلوبه المعتاد. نظر إليَّ بتحدٍّ بالغ، وعجرفة، فقلْتُ له:

- لا تنظر إليَّ بهذه الطريقة يا "حمزة" (كنتُ قد قرَّرت أن أطلق عليه اسم "حمزة").

واصلتُ حديثي له:

- أوَّلًا، وقبل كل شيء، عليك بقتل الذَّكَر الذي بداخلك، يا صديقي.
هذا ما يجب عليك فعله حقًّا.

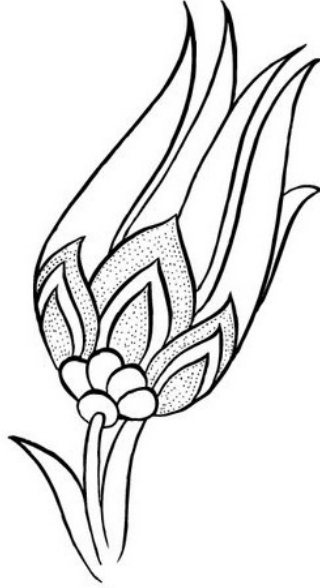
أجاني بنظرة باردة، خالية من المشاعر.

لا يزال يلتزم الصمت. في حال حدوث أي تطوُّرات جديدة، سوف
أحرص على كتابتها وإطلاعكم عليها.



2

قصة "سحر"



في ليلة العيد، أعدت أبله "سَحَر" بعض الحنّاء. رسمت شقيقتهاها الصغيرتان دوائر منها على كفوفهما، ثم غطت كل واحدة منهما كفيها بجوربٍ قديم، واستلقت على الفراش الذي بسطته لهما "سَحَر" على الأرض. جاورتها، بعد قليل. شعرت "بينار"، و"قَدَر" بحماسٍ هائل للعيد، حال دون نومهما. لم تستطع "بينار" التوقّف عن التفكير في فستانها الجديد. تخيلت نفسها به. إنه أول ثوبٍ جديد تحصل عليه، فحتى هذه اللحظة اعتمدت دومًا على بقايا ملابس "قَدَر" القديمة. في هذا العيد، لم تحصل "قَدَر" على قطعة ملابس جديدة، وإنما على حذاء، وهو ما جعلها تشعر بالإثارة، كأختها تمامًا. راحتا تترثران، وتضحكان، حتى ساعة متأخرة من الليل، تحت أغطيتهما، غير عابئتين بأوامر أبله "سَحَر" وتأفّفها. كانتا تُدركان جيّدًا أن غضبها مُصطنع، وأنها لا تنزعج منهما أبدًا. في نهاية الأمر، استسلمتا لإحساسهما بالإرهاق، وغطتا في نوم عميقٍ في حُضنها.

أما ما تسبَّب في بقاء "سَحَر" ذاتها مستيقظة، فأمرٌ مختلفٌ تمامًا. كانت قد وافقت على لقاء "خيري" في المقهى. يعملُ "خيري" معها في مصنع الغزل والنسيج. بسبب يوم "الوقفه"، منحت إدارة المصنع عمَّالها إذنًا بالخروج المبكر. بينما كانت تهمُّ بالمُغادرة، اقترب منها بخجل وطلب منها أن تُقابله. في الحقيقة، توقَّعت "سَحَر" هذه الخطوة منذ فترة، فقد كانا يتبادلان نظرات مُختلفة لبعض الوقت، وأصبحت هدفاً لنميمة زملائهما مؤخرًا. العمَّال في المصنع سريعون في التقاط مثل هذه المواقف.

ببلوغها عامها الثاني والعشرين، أحسَّت "سَحَر" - كما كل من حولها - بتضاؤل فرصها في الزواج. بدأت تخشى أن يفوتها القطار. تزوّجت الفتيات اللاتي يُماثلنها في العُمر، قبل حتى بلوغهنَّ الثامنة عشرة، وأنجبن أطفالًا. تقدم لخطبة "سَحَر" عدد قليل من العرسان، لكنها لم توافق على أيٍّ منهم. وحده "خيري" نجح في جذب اهتمامها. طويل، بشعرٍ متموج، وشفَتين مُمتلئتين. يمكن القول إنه

وسيم. تزاملا في العمل منذ نحو ثمانية أشهر، بعد انضمام "خيري" للمصنع، عقب انتهاء مدة تجنيده في الجيش. كان قد مرَّ على وجود "سَحَر" في المكان أربعة أعوام.

استيقظت الشقيقات الثلاث مبكرًا، على ضجيج محبَّب، فيما شرع بقيَّة أفراد الأسرة في بدء أنشطة هذا اليوم المتميز. توجَّه "غني"، والد "سَحَر"، للمسجد لأداء صلاة العيد، مصطحبًا ولديه "هادي" الذي يكبر شقيقته بثلاثة أعوام، و"إنجن" الذي يبلغ الخامسة عشرة. ما إن غادروا، حتى هرعت "بينار"، و"قَدَر" إلى الحمَّام لغسل الحنَّاء التي جفَّت، عن أيديهما. وحدها صباحات العيد قادرة على جعل الأطفال في حالة مرح، في مثل هذه الساعة المبكرة من اليوم. غسلت "سَحَر" حنَّاءها أولًا، ثم عاونت الصغيرتين في فعل الشيء ذاته. اكتسبت أيديهن لونًا أحمرَ يشبه حبَّات الرَّمَّان الناضجة. استنشقت "سَحَر" رائحة الحنَّاء باستمتاع، ثم طبعت قُبَلاتها على أكفُّهن الصغيرة. كانت الأم "سُلطان" في المطبخ، تحاول الانتهاء من إعداد

الإفطار قبل عودة الرجال من المسجد. اتَّجَهت "سَحَر" للمطبخ، لتقديم المساعدة، فيما سارعت الصغيرتان لارتداء ملابس العيد. أزيلت فُرُش النوم والأغطية من الحجرتين، على عجلة، ووُضِع الطعام على أرض إحداهما. لا تجتمع الأسرة بأكملها لتناول الإفطار معًا، إلا في الأعياد. عند عودة الرجال من المسجد، تبادل الجميع التهاني. في البدء، قَبَّل الجميع يد "غني"، بمن في ذلك زوجته "سُلطان". في المقابل، لم يَقم هو بتقبيل واحتضان أحد، سوى الصغيرتين "بينار" و"قَدَر"، قبل منحهما العيديات. هنأ جميع الأبناء أهمهم، بعد ذلك، وتبادلوا معها القبلات والأحضان. كرَّر الأشقاء الخمسة الأمر ذاته مع بعضهم، ونجحت الطفلتان في أخذ مزيد من العيديات، من "هادي" هذه المرّة. ورغم علمها بأن "إنجن" يمقت هذه المواقف، أصرَّت "سَحَر" على احتضانه. استسلم صامتًا، دون أن يتملَّص من بين ذراعيها، كما اعتاد أن يفعل في الأيام العادية. يحب "إنجن" أبله "سَحَر" من كل قلبه، وهي بدورها لا تكفُّ عن تدليله.

تناولت كيس نقودها، وأعطته عيدِيَّته. تردَّد في أخذها، في بادئ الأمر، لكنه استسلم لإلحاحها، ثم احتضنها من جديد. عقب ذلك، جلس أفراد الأسرة حول أطباق الطعام وهم يُثرثرون بسعادة.



بحلول الظهيرة، فرغوا من إتمام الزيارات المعتادة للجيران، وتفرَّق رجال الأسرة لممارسة شؤونهم الخاصَّة. لم يعد يفصل "سَحَر" عن موعد "خيري" سوى ثلاث ساعات فقط، ومع ذلك لم تخبر أمها بعد بنِيَّتِها للخروج. تحمل "سُلطان" حُبًّا عميقًا لجميع أبنائها، إلا أن "سَحَر" تحتلُّ مكانةً خاصَّةً في قلبها، فهي ليست ابنتها فقط، بل صديقتها، وكاتمة أسرارها أيضًا، ولذلك تتساهل معها أكثر من الباقين بكثير. حين أعلنت "سَحَر" بأنها ستخرج، لم تُبدِ الأم اعتراضًا، واكتفت بتوصيتها بمُلازمة الحذر، دون سؤالها عن أي تفاصيل. كانت تفهمها جيِّدًا، واستطاعت تخمين المسألة بأكملها.

شهد الملقهى المقابل لمبنى محكمة "أضنة" لقاء "سَحَر" و"خيري".
حين دخلتُ، وجدته يجلس وحيداً. قام واقفاً عند رؤيتها، وتناول يدها
في كُفّه:

- مرحباً.. عيد سعيد.

أجابته بصوتٍ مُرتعش:

- شكرًا. عيدك سعيد.

تصبَّب العرق منها، من شدة التوتُّر. إنها المرَّة الأولى التي تلتقي
فيها شابًا. ليس لديها أدنى فكرة عمَّا يجب قوله، أو فعله. لسنوات،
انحصرت حياتها في الذهاب إلى العمل والعودة منه إلى البيت. كانت
تستمع إلى زميلاتها وهن يتحدَّثن عن مواعيدهن الغرامية، لكن
تجربة الوضع بنفسها أمرٌ مختلفٌ تمامًا. على عكس "سَحَر"، بدا
"خيري" هادئًا و متماسكًا. تحدَّث معها ببساطة في أمورٍ مختلفة، إلى
أن استعادت نبضات قلبها المتسارعة إيقاعها المنتظم المعتاد. تكلمًا

عن عائلتيهما، وماضيهما. مع استمرار الحوار، تسَلَّل الارتياح لنفس "سَحَر"، وبدأت تشعر بالطمأنينة وكأنها تعرف "خيري" منذ أعوام طويلة. بطبيعة الحال، يعود الفضل في ذلك لـ"خيري". كلما استمر حديثه، أَحَسَّت نحوه بانجذابٍ ساحِر. أدركت أنه يعلم جيِّدًا ما يفعل. لا بأس بذلك، فهو أمرٌ متوقَّع، لأنه رجل في نهاية الأمر، وقد خرج مع عديد من الفتيات قبلها على الأغلب، لكنه معها الآن، وحريص على التلطف معها وإسعادها، وهذا هو ما يهمُّ. حين ينهمك في الكلام، يحني "خيري" رأسه، مانحًا "سَحَر" الفرصة لتأمله. عندما غادرا المقهى بعد قرابة ساعتين، كانت قدما "سحر" تلمسان الأرض بالكاد لفرط سعادتها. قالت لنفسها إن هذا هو الحب، بكل تأكيد. احتلَّ "خيري" كيانهما تمامًا، فلم تفكر في سواه طوال سيرها إلى البيت في "شاكر باشا". احمرَّ وجهها، بين الحين والآخر، وأحسَّت بدوارٍ في رأسها. لكنها حين أوشكت على الاقتراب من المنزل، تبدَّل فرحها خوفًا. لو علم والدها و"هادي" بشأن موعدها الغرامي، لسلخا جلدها

دون رحمة. عليها الانتباه والتزام الحذر والسريّة التامّة. لا تجرؤ على مصارحة أحد بسرّها، ولا حتى أمها. ليس الآن على الأقل. حين وصلت إلى البيت، لم يكن الرجال قد عادوا بعد. تعمّدت أمها عدم سؤالها عن شيء. كانت متأكّدة من أن "سَحَر" سوف تصارحها بكل التفاصيل، في الوقت المناسب.

في تلك الليلة، أعدّت الفرُش للنوم في ساعة مبكرة عن المعتاد. ما إن وضعت "بينار" و"قَدَر" رأسيهما على الوسادة، حتى استغرقتا في النوم، عقب كل الإثارة التي تعرّضتا لها طوال ساعات اليوم. استلقت "سَحَر" بجوارهما، وبقيت مستيقظة لساعات وهي تفكر في "خيري"، وفي مستقبلهما معًا، وفي حفل زفافهما، وفي فستان الزفاف. تخيلت بيتهما، والأثاث الذي سيشتريانه. تخيلت نفسها فيه، هي و"خيري" بمفردهما. احمرّ وجهها بشدّة. استسلمت للنوم، في نهاية الأمر.

صباح اليوم التالي، اجتمعت الأسرة حول طعام الإفطار، من جديد؛ لكن المرح الذي ساد أجواء اليوم الأول من العيد تلاشى بعض الشيء، وإن لم ينته تمامًا. تجنّبت "سحر" النظر في أعين أفراد أسرتها، خوفًا من انكشاف سرّها. تجنّب اثنان آخران التقاء نظراتهما، وهما "غني" و"هادي". في الليلة السابقة، التقيا صدفةً في ماخور "أضنة"، لكنهما سرعان ما ابتعدا عن بعضهما، وكان أحدهما لم ير الآخر، لكنهما يدركان بطبيعة الحال أنهما شاهدا بعضهما. إنه اتفاقٌ غير مُعلن، يعرفه جميع الرجال في هذه المواقف. لكنهما - مع ذلك - جلسا دون تبادل كلمة واحدة. كان "هادي" قد أتمّ خطوبته لإحدى الفتيات، منذ عام، وأي حديث عن تفاصيل ومصاريف عرسه في الصيف المقبل كان كفيلاً بإثارة التوتر بين الرجلين في أي وقت.



عند عودتها للمصنع، عقب انتهاء إجازة العيد، تسارعت دقات قلب "سحر". طوال ذلك الصباح، لم تستطع منع نفسها من اختلاس

النظرات لـ "خيري". في وقت الغداء، جلس الاثنان في الكافيتيريا معًا. قارنته بالرجال الآخرين في المصنع، فغمرتها السعادة لحظها الرائع. "خيري" هو الأكثر طيبةً ووسامةً. من بين جميع فتيات المصنع، اختارها هي دون سواها. تشعر بأنها بطلة حكاية أسطورية. تمنّت لو أن الزمن يقف بها في هذه اللحظة تحديدًا. في نهاية اليوم، غادرا معًا. قال لها بخجل وهي تودّعه:

- سوف يمرُّ بي بعض الأصدقاء بسيارتهم الآن، ويمكننا توصيلك للبيت، إن أحببتِ.
أجابته:

- كلاً، لا بأس. لا أودُّ إزعاجكم.
- لا مشكلة على الإطلاق، حيُّكم في طريقنا على كل حال.
سمحت "سَحَر" لنفسها بالاعتناع..
- حسناً.. لكن أنزلوني في أوّل شارعنا.

بدا "خيري" مُتفهِّمًا:

- بالتأكيد. سنُنزلكِ حيثَ ترغِبين.

حين ركبا السيارة، حيَّا "خيري" أصدقاءه، دون أن يهتم بتعريف "سَحَر" بهم. تبادل الرجلان اللذان يجلسان في المقدمة كلمات هامسة، بين الحين والآخر. قال "خيري" لـ"سَحَر" بضع كلمات معدودة، ولم يخبر قائد السيارة بالطريق الذي ينبغي عليهم قطعه للوصول إلى بيتها. حين وصلوا إلى مَخرج الطريق الرئيسي في "بالجالي"، كان الظلام قد حَلَّ. استبدَّ القلق بـ"سَحَر"، فصاحت:

- أنتم تسيرون في الاتجاه الخاطئ! أنا أسكن في "شاكِر باشا"..

قال "خيري" مُهدِّئًا:

- لا تخافي. سنتجوّل بالسيارة حول السَدِّ لبعض الوقت، ونشُمُّ هواءً

نقيًّا، ثم نصطحبكِ إلى البيت. مُجرّد تغيير! ما رأيك؟

- حسنًا..

أضافت بقلق:

- ولكن علينا ألا نتأخَّر، فأهلي ينتظرونني في المنزل.

بعد قليل، اندفعت السيارة بقوة في المنحنى المؤدِّي لطريق الغابة.

تزايدت دَقَّات قلب "سَحَر". واصلت السيارة اندفاعها داخل الغابة

لبعض الوقت، قبل أن تتوقَّف فجأة. قال "خيري":

- لنخرج. هواء الغابة مُنعش.

ردَّت "سحر" وقد تملَّكها الخوف:

- كلاً. لا أريد. عليَّ أن أعود للمنزل.

قبض "خيري" على ذراعها بين أصابعه بإحكام، ثم جرَّها خارج

السيارة، وهو يقول:

- لماذا إذاً أتيت معنا من البداية؟

لم تستطع تمييز هذا الصوت.. إنه ليس "خيري" الذي تعرفه.

غادر الاثنان الآخران السيارة، واقتربا منهما. أمسك بها أحدهما من الخلف، بينما جذب الثاني شعرها بقوة. تعاون "خيري" معهما في إسقاطها أرضًا. ثبتّ أحدهم قدميها، وأمسك آخر بمعصمها. أحسّت بالاختناق. حاولت الصراخ، لكن صوتها بقي مُحْتَبَسًا. توقّفت الدنيا حولها. توقّف كل شيء. الوحيد الذي كان يتحرّك، هو "خيري".



استعادت وعيها على جانب الطريق. حُيِّلَ إليها في بادئ الأمر أنها في حلم. حاولت الاستيقاظ، لتكتشف أنها ليست نائمة من الأساس. ثيابها مُمَرَّقة، والدّم يسيل على ساقها. قالت لنفسها:
- لا بد أن سيارة صدمتني.

لا شك أن هذا هو ما حدث، فمن غير المعقول أن ما تتذكّره هو الحقيقة. لقد اصطدمت بها سيارة.. وبقية الصور العالقة بذهنها ليست سوى كابوس. هكذا راحت تُطمئن نفسها. الشارع هادئ. إنها

في منطقة صناعية، لكنها لا تعرف أين بالضبط. تسير باتجاه أصوات السيارات، إلى أن تصل إلى الطريق الرئيسي. تدرك عندها فقط أنها على مقربة من شارعها. تُواصل السير، محاولةً عدم التفكير في أي شيء. فتحت "سُلطان" الباب. ما إن رأت حال "سَحَر"، حتى انطلق منها عويلٌ مُتألّم. تلمُّ ابنتها بين ذراعيها:

- ما الذي حدث لك؟ ما الأمر يا حبيبتى؟

راحت تُردّد ذلك، مرّةً تلو أخرى. علقت الكلمات بحنجرة "سَحَر"، وأبت مُغادرتها، فلم تستطع التّفوّه بشيء.

لم يكن رجال البيت قد عادوا بعد من دُكّان الخضروات الذي يُديرونه في السوق. إنهم يخرجون في ساعةٍ مبكرة، ولا يعودون إلا في ساعة متأخرة من الليل. راقبتُ "بينار" و"قَدَر" الموقف بأعين ملوِّها الخوف. تابعتا أهمهما وهي تقود أختهما إلى الحمّام. نزعت "سُلطان" الثياب عن ابنتها برفقٍ بالغٍ. حين رأت جسد "سَحَر" المُغطّى بالدم

والكدّات، انسابت دموعها دون توقّف. دفنت رأسها في شعر ابنتها، وانخرطت في بكاءٍ مريّرٍ. اختلطت دموعها بالماء الساخن الذي راحت تسكبه فوق ابنتها. حمّمتها بدموعها. مشّطت شعرها طويلاً، ثم غسلت جسدها من جديد. بدأت "سَحَر" تستعيد وعيها بما حولها، أخيراً. انطلقت منها صرخة طويلة. أوّل صوت يصدر عنها منذ ساعات. أدركت الأم والابنة المصير الذي ينتظر الأخيرة، والذي لا مفرّ منه. تشبّثت كل منهما بالأخرى، وهما تبكيان بكاءً حارّاً.

جفّفت "سُلطان" جسد ابنتها، وألبستها "بيجاما". أخذتها إلى الفراش، وغطّتها باللحاف. جلست بجانبها، وهي تمسح شعرها بكفّها، وتُرَدّد بعض الآيات، والأدعية. قبعت "بينار" و"قَدَر" في ركنٍ من الحجر، تُتابعان الموقف. نامت "سَحَر" بين ذراعي والدتها، كطفلٍ رضيعٍ. المشاعر الوحيدة التي ارتسمت على ملامحها هي الإرهاق، والتعب الشديد. قامت "سُلطان" من مكانها، بلُطف، وغادرت الغرفة مصطحبةً الصغيرتين معها.

بعد قليل، تعالت الدقّات اللوححة على الباب. عاد رجال البيت. أبلغهم الجيران بضرورة العودة لأن الأمور ليست على ما يُرام، كما يبدو. كان بعضهم قد لمح "سَحَر" في الشارع، وقد غطّأها الدم، بينما سمع البعض الآخر أصوات صراخ وعويل قادمة من بيتهم. دُعِر الرجال، فسارعوا بالتوجُّه للمنزل. سأل "غني":

- ما الذي حدث لـ"سَحَر"؟

حاولت "سُلطان" التَّملُّص من الإجابة، واكتفت بالقول:

- إنها نائمة الآن. إنها بخير.

قال بحدّة:

- أخبريني ما الذي حدث.

رفعت "سُلطان" رأسها، وواجهت نظراته، وهي تقول:

- غير مهم. انتهى الأمر.

تجمّد "غني"، و"هادي" في مكانيهما، في دُهل، بينما حاول "إنجن"
فهم الوضع الغامض. التفت "غني" نحو "هادي":

- اتّصل بعَمَّيك. أبلغهما بأن يأتيًا حالًا.

توسّلت "سُلطان":

- الوقت متأخر. لا تتّصل بأحد الآن. فلننتظر حتى الصباح. "الصباح
رباح"، كما يقولون..

- لا جدوى من الانتظار، فلن يغيّر شيئًا مما ننوي فعله.

ارتمت "سُلطان" على قدمي زوجها:

- هي لم ترتكب جُرمًا يا "غني". طفلي المسكينة بريئة. سامحها يا
"غني".. أتوسّل إليك..

لكن زوجها لم يتزحزح عن موقفه.

يقطنُ عمًا "سَحَر" الكبيران على مقربةٍ منهم. لم يستغرق وصولهما
طويلاً. أغلق الرجال الباب على أنفسهم في إحدى الحجرات، وناقشوا
المسألة. لازمت "سُلطان" ابنتها. بكت في صمت، وهي تمسح على
شعرها، وتستنشق رائحتها الحلوة.

انصرف العمَّان دون كلمة واحدة. ذهب "هادي" إلى الغرفة التي
نامت فيها "سَحَر"، وقال لوالدته:

- عليكِ مُغادرة الغرفة يا أمي.

وقفت "سُلطان" في مواجهة ابنها:

- لن أغادر. لن أتخلَّى عن ابنتي. خذوني معها أينما تأخذونها.

- فلتبقي خارج الموضوع يا أمي! المسألة لا تخصُّك على الإطلاق.

نحن من قُضيَ على شرفنا.

صاحت "سُلطان" بغَيْظٍ:

- اللعنة على شرفكم! ابنتي بريئة.. إياكم أن تمسوها بسوء.

كانت "سَحَر" لا تزال تشعر بالدُّوار. استيقظت، والتقت نظراتها بنظرات أخيها. امتلأت أعينهما بالدموع، لكن ملامحه بقيت قاسية ومُتَجَبِّرةً. تعلم "سَحَر" ما ينتظرها. وقفت ببُطءٍ، واتَّجهت إلى الحَمَّام. استبدلت ثيابها، وعادت لتجلس بجوار أمها. طلبت من شقيقها أن يمنحها وقتًا للوداع. غادر "هادي" الحجرة. تبادلت وأمها عناقًا قويًّا. لشدة بُكائهما، لم تقوَ أي منهما على التَّفوُّه بكلمة واحدة. شعرت "بينار"، و"قَدَر" بخوفٍ بالغ، وانهمرت دموعهما في هلع. أخذتهما "سَحَر" في حضنها، قبَّلتهما كثيرًا وهي تستنشق رائحتيهما. قالت لهما أخيرًا:

- لا تنسيا أبله.. اتَّفقنا؟

لم تفهم الصغيرتان ما يجري، لكنهما أحسَّتا بخطورة الموقف. تعلَّقتا بأختهما، رافضتين تركها. صاح الأب:

- هيّا! هذا يكفي. يجب أن نذهب الآن.

اعترضت "سُلطان" طريق زوجها، وحالت دون اقترابه من ابنتهما،

وهي تصرخ:

- على جُنَّتِي!

صفعها "غني" صفة قوية، أسقطتها أرضًا. أمطرها باللعنات، وأمرها بإفساح الطريق. اندفعت "سُلطان" نحوه من جديد، وتشبّثت بقدميه، وهي تصيح وتبكي، ولكن دون جدوى. لم يصغِ إلى توسُّلاتها. أوماً "غني" برأسه تجاه الباب، مُتَجَنِّبًا النظر إلى ابنته. أطرقت "سَحَر"، وخرجت من الباب. كانت الشاحنة تقف أمام البيت. ركبوها واحدًا واحدًا. تلصَّص الجيران من وراء ستائر نوافذهم، وتابعوا "سَحَر" وهي تُؤخذ بعيدًا.

التزم الجميع الصمت، طوال الطريق. جلست "سَحَر" بجوار "إِنجِن" في المقعد الخلفي، وظلَّت تمسك يده بقوة. لولا خوفه من أبيه، لأحاط "إِنجِن" كتفي أخته بذراعه. أوقفوا الشاحنة بمُحاذاة حقلٍ خاوٍ على أطراف المدينة. سبقتهم "سَحَر" في الخروج، وانتظرت الباقيين. لمع وجهها تحت ضوء القمر.. جميلاً وجليلاً. ساروا في خطٍّ مستقيمٍ باتجاه منتصف الحقل. "غني" أوَّلًا، تتبعه "سَحَر"، ثم "هادي"، ومن ورائه "إِنجِن". كان جليدٌ "أضنة" قد جعل الأرض صُلْبَةً. لم يُسمَع صوت، عدا وقع أقدامهم على الأرض القاسية. حين توقَّف الأب، توقَّف أولاده ورائه. التفت نحوهم، وأخرج مسدسه من حزامه، ثم ناوله لـ"إِنجِن". فقدت "سَحَر" هدوءها للمرة الأولى. أمالت رأسها جانبًا، وراحت تتوسَّل إليه:

- بابا.. من فضلك.. أرجوك.. لا تفعل هذا بـ"إِنجِن". إنه مجرد طفل، لن يستطيع تحمُّل السَّجن. بابا.. دعني أنا أفعل ذلك. سأضحى بنفسِي. لا تُضَحِّ بـ"إِنجِن" من أجلي يا بابا.

قاوم "غني" دموعه، وقال بتصميم مُخاطبًا ابنه الأصغر:

- هيّا. خذه يا بُني. هيّا يا "إنجن". لِئِنَّه هذا الأمر.

اتّسعت عينا "إنجن" من الخوف والصدمة. مدّ يده، وتناول
المسدس من أبيه. إنه بارد. "إنجن" ولدٌ صغير. المسدس ثقيل. ارتجفت
يده. قال "هادي" أمرًا:

- اركعي على رُكبتيك.

حاول السيطرة على صوته المرتعش. قبل أن تقع على الأرض، قالت
"سَحَر" لأبيها:

- من فضلك.. دعني أقبّل يدك يا بابا.

مدّ "غني" يده. لثمتها "سَحَر"، ثم رفعتها إلى جبينها:

- سامحني، واغفر لي خطيئتي يا أبي.

قال "غني" بصوتٍ مُتَحَرِّج:

- أسامحكِ يا ابنتي. سامحيني..

- أسامحك.

التفتت صوب "هادي"، وعانقته، طالبةً منه المغفرة. ظلَّ واقفًا في
سكون، دون كلمة واحدة. أخيرًا، احتضنت "إنجن". وضع المسدس على
الأرض، وتشبَّث بها بقوة. قبَّلته "سَحَر" مرارًا، وهي تملأ صدرها برائحة
شَعْره. راحت تستنشقها بعمقٍ ونَهَمٍ.

عاودت "سَحَر" الجلوس على رُكبتها. أمسك "إنجن" المسدس،
وصوَّبه إلى مؤخرة رأسها. اهتزَّ المسدس في يده. قالت له:

- "إنجن" .. حبيبي "إنجن"، لا تخف يا صغيري.

استطردت مُشجَّعةً:

- لا تخف أبدًا، من أي شيء، ولا من أي أحد. اهتمَّ بنفسك في السَّجن.

أغمض "إنجن" عينيه بقوة، وصاح:

- أبله "سَحَر" ..

اختلط صوته بأزيز الرصاصة التي انطلقت من المسدس. طار سِرْبٌ من الغربان، من على أشجار الحُور البعيدة، عند سماع صوت الرصاصة. سقطت "سَحَر" على وجهها. انساب دمها الدافئ على الأرض المتجمّدة في "تشوكوروف". سأل فوقها، ممتزجًا بالحناء التي تصبغ كفيها.

في إحدى الأمسيات، سرق ثلاثة رجال أحلام "سَحَر"، داخل الغابة.

في إحدى الليالي، أنهى ثلاثة رجال حياة "سَحَر"، داخل حقلٍ مهجورٍ.



3

الخدمة "نازان"



تلك السيارة الـ"رينو" الكبيرة التي ترونها هناك.. إنها من حَيِّنا. كل مَنْ فيها من حَيِّنا أيضًا. إنهم أبناء الخالة "حليمة". ذاك الذي يقود السيارة هو "يوسف"، أكبرهم. ثلاثة من الركاب، إخوته. يركب معهم "محيي الدين"، ابن عمِّهم. ذلك التَّافه الذي يجلس في الخلف هو ابنه "سليمان". يعملون معًا في تركيب الجبس المُزخرف على الأسقف. تلك مُعدَّاتهم في الخلف. يتعاونون معًا بشكلٍ جيِّدٍ، ويعملون بمهارة كالعفاريت!.. أعني حين يجدون عملاً، بين الحين والآخر، فمهنتهم ليست من النوع الثابت، أو الدائم، كما تعرفون. يتعاقد الناس مع "يوسف"، عادةً، لأنه أكثر إخوته وأقاربه شهرةً بين سُكَّانِ الضَّواحي. إنه شاب مستقيم، وعاقل. ترك المدرسة في المرحلة الإعدادية. خطيبته "سُهَيْلة" من حَيِّنا أيضًا. والدها هو "أورهان"، البوَّاب المُتقاعد. على فكرة، لقد أضاءت إشارة المرور باللون الأخضر. ها نحنُ ننتقل من جديد! يلمح "سليمان" الباص الذي أركبه، ويراني، فيلُوح لي بيده. ألوِّح له بدوري.

اسمي "نازان". عُمرِي ثمانِي عشرة سنة. أنهيتُ المرحلة الإعدادية، ثم تركتُ التعليم. لديّ أختان أصغر مِنِّي. أُمِي هي التي تَوَلَّت تربيتنا. كان أبي يعمل لصالح الحكومة، هنا في "ماماك" بـ"أنقرة". مات وأنا في الخامسة. يقولون إنه كان ميكانيكياً من الطراز الأوّل. في أحد الأيام، استلقى أسفل باص لإصلاح مُحرِّكه، ثم حدث ما حدث! حين مات، كانت أُمِي حاملاً في الشهر الثامن. ترك لنا معاشاً شهرياً، وعدداً كبيراً من المجلات المتخصصة في السيارات. كان شغوفاً بالسيارات وبالمجلات الخاصة بها. لم يُفوت عدداً واحداً منها، أبداً. حين كان يرى صورة لأي سيارة في الصحيفة، يعمد إلى قصّها والاحتفاظ بها. "موستانج" سوداء كانت سيارة أحلامه. علّق "بوستر" لها على جدار المطبخ. لطالما قال لأُمِي إنه سيشتري لنفسه سيارة، في يومٍ من الأيام. لم تنزع "بوستر" الـ"موستانج" عن الجدار، أبداً. لا يزال مُعلّقاً في مكانه. وهكذا، نشأت وأنا أقرأ مجلات أبي. إنها مصدر عشقي للسيارات.

تبيّن لاحقًا أن معاشه لا يكفي تدبير أمورنا، ولذلك بدأت أُمي تعمل خادمةً في عددٍ من البيوت. عندما أنهيتُ المرحلة الإعدادية، بدأتُ أصحابها لأُساعدُها. حين كنتُ أذهب معها، كُنّا نتركُ "نبيلة"، و"جلبهار" مع جارتنا "هسرت". ما إن أُجِدتُ القيام بمختلف الأعمال المنزلية، بمفردي، حتى أُخبرتُ أُمي بأن دوري قد حان للعمل، وأن عليها ألا ترهق نفسها. وهكذا مرَّ على عملي في تنظيف البيوت نحو عام كامل الآن.

نعيش في ما يسمّيه الناس "مُدُن الصفيح"، في حيِّ عشوائيّ بـ"ماماك". جميعنا نعرف بعضنا هنا، وكلنا فقراء، لا أحد أفضل، أو أسوأ من الآخرين. لا نشعر باختلافنا، إلا حين نذهب إلى وسط المدينة. هناك، تصفَعنا الحقيقة على وجوهنا بقسوة. أركب الباص للوصول إلى عملي. أجلسُ دائمًا بجوار النافذة. أحبُّ مشاهدة السيارات ومن بداخلها، وخصوصًا عندما يجبرنا الازدحام المروري أو الإشارة الحمراء على التوقُّف. مثلًا، الشاحنة الـ"فارجو 86" التي

تقف بجانبنا الآن، ملك للعم "حيدر". إنه يملؤها بعدد من الأشياء المختلفة، عندما يستأجره أحد لنقل حاجاته وممتلكاته. يركنها عادةً أعلى الطريق، على زاوية الشارع الرئيسي. إنه من مدينة "تشورم" في الأساس. لديه ابنتان تدرسان في الجامعة. زوجته، الخالة "بسيمة"، مريضة وطريحة الفراش منذ أن تعرّضت لحادث اصطدام قبل ثلاث سنوات. هرب السائق الذي صدمها، تاركًا إياها لتموت في الطريق. اعتُقلت إحدى الفتاتين في العام الماضي، في مظاهرة طلابية لإحياء ذكرى مجزرة فندق "ماديماك". ها هو ضوء إشارة المرور يتحوّل إلى اللون الأخضر.

يمكنك دومًا أن تعرف الناس والسيارات، الذين ينتمون لجانبنا من المدينة. تجمع الاثنين أمورًا مشتركة: استهلكهم العمل المتواصل، تمامًا. كلاهما مُتعب ومُرهِق، وله هيئة خشنة تشي بالفقر الشديد. السائقون يقبضون على مقاود السيارة ذات الأصباغ المتآكلة بكتلتي اليدين، بحذرٍ بالغ، لأنها مصدر قوتهم. لكنك حين تصل إلى الطريق

الرئيسي، تلاحظ تغير السيارات والركاب. تبدأ فجأة في مشاهدة الموظفين ورجال الأعمال، والسيدات اللاتي يقُدن سياراتهن. تشاهد أيضًا شبانًا يتمتعون بالوسامة. السيارات هنا أحدث من مثيلاتها في حينًا. انظر مثلًا للرجل والمرأة داخل سيارات الـ"باسات" الرمادية التي تجاورنا. لا بدّ أن لكلٍ منهما وظيفة. ربما تعمل المرأة في بنك، أما الرجل فيبدو مديرًا في مكانٍ ما. سوف يقوم بتوصيل المرأة إلى البنك أولًا، قبل توجهه لعمله. إنهما متزوجان منذ وقت طويل، كما يبدو. يتراءى لي أنهما يركبان معًا، مضطرين. يتبادلان كلمات قليلة، بين الحين والآخر، دون أن ينظر أحدهما للآخر. لقد استمرّ زواجهما حتى هذه اللحظة، في رأيي، من باب الواجب فقط. لعلهما أخذًا قرضًا لشراء هذه السيارة، ويشتركان معًا في دفع أقساطها؛ لكن الرجل يتصرّف كما لو كانت ملكه وحده فقط. هذه هي ميزة سيطرتك على المقود، كما أظن.

فُتِحَت الإشارة، وبدأنا في التحرك من جديد. انظروا للـ"شاهين"
البيضاء، بجانبنا. مَنْ حاول تجديدها، فعل ذلك بشكل سيئ للغاية.
الشُّبَّان الأربعة بداخلها ليسو من حيننا، لكنهم ينتمون - بكل تأكيد -
لجانبنا من الحياة. يبدو أنهم في طريقهم للعمل. إنهم من ذلك النوع
الذي يطوف الشوارع بسيارته في إجازة نهاية الأسبوع، لمجرد التباهي
والاستعراض. ألمح في الجانب الآخر من الطريق، سيارة "بي إم دبليو
740" بلون أحمر نبيذي. هذه سيارة رائعة، حقًا. الناس الذين أعمل
لديهم يمتلكون سيارة مُماثلها.. بل إن لوحة الأرقام هي ذاتها. انتظروا
لحظة!.. إنه "مراد بيه" لا غير! لكن المرأة التي تجلس بجانبه ليست
"سيفجي هانم"! لعلها زميلته في العمل، أو شيء مثل ذلك. يا الله!
لقد قَبَّلها على شفيتها! فُتِحَت الإشارة.

لا أصدِّق. لا بد أنني تخيلتُ ما رأيته للتوّ. كلاً.. لم أرَ شيئاً
من الأساس. "سيفجي هانم" طبيبة، وتعمل في المستشفى. في قسم
الطوارئ. "مراد بيه" يملك شركة إنشاءات هندسية. إنهما متزوجان

منذ أربع سنوات، وليس لديهما أطفال. لكنهما يُحَبَّان بعضهما بشدَّة،
أو كانا كذلك سابقًا على الأقل. ميدان "كيزيلاي" مغلق أمام السيارات.
أنزل من الباص. ليس أمامي سوى السير على قدميَّ. سوف أركب
"باص" آخر من الجهة الثانية للميدان. تعيش "سيفجي هانم" وزوجها
في الطابق 13 من بناية فخمة في "تشوكورامبار". أنظف بيتهما مرَّتين في
الأسبوع. يدفعان لي مبلغًا جيِّدًا. أدعو الله أن يُكرمهما.

لا بد أن هناك مظاهرة ما في "كيزيلاي". هناك قنابل مسيلة
للدموع. أشمُّ رائحتها من هنا. عيناى تحرقانني. أشعر بصعوبة
مُتزايدة في التَّنَفُّس. كل من حولي يسعلون وييصقون، وهم يركضون
في كل اتجاه. هل أركض بعيدًا مثلهم؟ من الأفضل أن أعبّر الطريق،
وأسير في الشوارع الخلفية. لقد ضربني شيء على رأسي، فجأة. يبدو
أن الضربة قد شجَّت رأسي. أقع على الأرض وأنا أشعر بالاختناق.
يبدو أنها نهايتي. حسنًا، لا بأس.. ولكن لماذا أموت؟ ولماذا الآن؟ ومَن

الذي قتلني؟ عليّ أن أدع مهمة البحث عن إجابات، للأحياء! أسقط على وجهي. أظن أنني كُسرَ أنفي. أجلس في منتصف الطريق، أتابع ما حولي. الأمر أكثر واقعية من أن يكون حقيقياً! أنفي ينزف. أشعر بطعم الدم في فمي. هناك من يجرُّ النساء من شعورهن، وهناك مُعارضون في سن الشباب يحاولون مواصلة الهتاف بشعاراتهم، بينما تنهال عليهم عصيّ رجال الشرطة. أرى أشخاصاً يقذفون حجارة، وآخرين يحتمون منها باللافتات. أشاهد دبابات، ومدافع ماء. يتناهى إلى سَمعي صوت سرينة.. سرينة..

أنا داخل سيارة إسعاف الآن، يغطي وجهي قناع أكسجين. هناك جرحى آخرون، لكنهم واقفون. لا أحد غيري يستلقي على نقالة. هناك ثلاثة مُسعفين، رجل وامرأتان. أعتقد أن إحداهما طبيبة. للشباب شعرٌ ناعمٌ مصقَّفٌ للوراء بعناية. ليس من النوع الذي اعتبره وسيماً. أراهن أنه يصرف كل ماله على مظهره وهيئته. لا يملك سيارة على الأغلب، لكنه يملك كثيراً من "جل" الشعر! هيئة المُسعفة

وهندامها أكثر هدوءًا من زميلها. بينما تهتم بإسعافنا وتضميد جروحنا، تتذمّر من أولاد الحرام الذين فعلوا بنا هذا. يبدو أنها عضو اتحاد. وجهها غاضب، لكن عينيها ودودتان ودافتتان. تلتفتُ نحوي، كل فترة، لتسألني إن كنتُ بخير. أجيبها كل مرّة بإمءةٍ من رأسي. ليس لديها سيارة، لكنها متزوجة. ربما يمتلك زوجها سيارة. الطبيبةُ أصغر منهما عُمرًا، يحاولان لفت انتباهها: "دكتورة!.. دكتورة!.." لكنها مذعورة لدرجة جعلتها تنسى أنها طبيبة أصلاً. حسناً، أكاد أجزم بأنها غير متزوجة، بل ومُهملّة أيضاً. المُسعِفة، عضو الاتحاد، أكثر ثباتاً منها. هي التي تدير الوضع بأكمله، بمهارة.

أظن أننا وصلنا. يُفتَح باب سيارة الإسعاف. يخرجونني ويضعونني في قِسم الطوارئ. الشابّان اللذان يدفعان النّقالة التي أستلقي عليها، هادئان ومتماسكان، حتى يُخَيَّل إليك أنهما يدفعان أسِرّة المرضى والجرحى منذ مولدهما! ليسا من حَيِّنا، لكنهما مثلنا تمامًا. إنهما عازبان. يمتلك أحدهما "موتوسيكل" مُستَعْمَلًا. لو

سمعتَ الطريقة التي يلقيان بها الأوامر، ويطلبان بها من الناس إفساح الطريق، لظننتَ أنهما من أعظم وأهمَّ الجراحين مثلًا! لكن يبدو أنهما يمتلكان نفوذًا وسيطرةً، على كل حال. قسم الطوارئ ممتلئٌ للغاية بأناسٍ يصرخون ويتأوّهون. يرفعني الـ"جراحان" - ممتهى السهولة - ويضعانني فوق أحد الأسرة. يحملان النقالة الخاوية، ويغادران بسرعة.

أستلقي فوق السرير لبعض الوقت. أتحمّس مؤخرة رأسي، بحذر. أعتقدُ أن مخي قد سقط من مكانه، لكنني حين أنظر إلى أصابعي أجدها نظيفة. لا أثر لدماء أو نتف من المخ عليها. أحاول التأكد ثانيةً. أتحمّس جيّدًا هذه المرّة. تبين لي أن رأسي لم يُكسر، أساسًا، لكنّ هناك نتوءًا كبيرًا. في حجم قبضة يدي تقريبًا.

يَتَجَمَّعُ حَوْلِي عَدَدٌ مِنَ الْأَطِبَّاءِ، بِمَعَاظِفِ بِيضَاءٍ. يَلْفُونَ بِسُرْعَةٍ، حَتَّى
إِنِّي لَا أُمِيزُهُمْ جَيِّدًا. جَمِيعُهُمْ صِغَارُ السِّنِّ بِشَكْلِ غَيْرِ مَعْقُولٍ. وَجَمِيعُهُمْ
غَيْرُ مَتَزَوِّجِينَ. يَبْدُونَ كَطَلَبَةِ لَا مُبَالِينَ، فِي كَلِيَةِ الطَّبِّ. يَقُولُ أَحَدُهُمْ:

- سِيدَتِي، تَعَرَّضْتَ هَذِهِ الْحَالَةَ لَضْرِبَةٍ عَلَى الرَّأْسِ. وَرَبَّمَا تَعَانِي مِنْ
كَسْرِ فِي الْأَنْفِ.

الدُّكْتُورَةُ الَّتِي يِنَادُونَهَا بِـ"سِيدَتِي"، تَقْتَرِبُ مِنِّي وَتَمِيلُ عَلَيَّ. تَلْتَقِي
أَعْيُنَنَا. أَصِيحُ:

- "سَيْفَجِي هَانِمُ!"..

تَنْظُرُ إِلَيَّ بِعَيْنَيْنِ بَارِدَتَيْنِ، وَتَقُولُ مَعْتَذِرَةً:

- عَفْوًا، وَلَكِنْ مَنْ أَنْتِ؟

لَا بَدَّ أَنْ مَلَامِحَ وَجْهِي قَدْ تَدَاخَلَتْ، وَلَمْ تَعُدْ وَاضِحَةً، وَإِلَّا لَكَانَتْ
عَرَفْتَنِي فَوْرًا. أَقُولُ لَهَا:

- إنها أنا!.. "نازان".

تصيح بدهشة:

- يا إلهي!.. "نازان"! ما الذي حدث لك؟

أهزُّ كتفيَّ وكأنني أخبرها بأنني لا أدري. تقول:

- حسناً.. فهمت.

تضيف:

- خذوها للأشعة.



يعيدونني إليها من جديد، عقب أن أنتهي. تقف "سيفجي هانم"

بجوارِي، بينما تتفحص صور الأشعة. تقول أخيراً:

- حسناً، ليس هناك ما يستدعي القلق.. لا كسور من أي نوع، ولا

نزيف داخلي. سوف تمضين الليلة هنا، وسنأخذ لك أشعة أخرى في

الغد. أما الآن، فسوف يضعون ضمادات على جراحك، ويعلقون لك بعض المحاليل. سوف تُخَفَّف قليلاً من إحساسك بالألم.

- ولكن.. أُمي. عليّ أن أتَّصل بأُمي.

- لا تقلقي. سوف أبلغها.

في تلك اللحظة، يظهر عدد من رجال الشرطة، يحملون في أيديهم أجهزة لا سلكية. يسأل أحدهم:

- مَنْ أتى من المظاهرة مِنْ هؤلاء؟

لا أحد يجيب. يغضب الضَّابط الكبير، ويصيح بغیظ:

- مَنْ المسؤول هنا؟

تتقدَّم "سيفجي هانم"، وتعلن:

- أنا.

يُكرِّر الضَّابط سؤاله حول القادمين من المظاهرة. تُجيبه:

- ليس لدينا القُدرة على تحديد ذلك.

تردف قائلة:

- مهمتنا هي علاج المرضى. لا تشكّل معرفة مَنْ يكونون فارقاً لدينا.

يسدّد إليها الضّابط نظرات نارية، ثم يلتفت نحو الضباط الآخرين،

مُلقياً أوامره:

- اجمعوا هويّاتهم وبطاقاتهم الشخصية.

تحاول "سيفجي هانم" منعهم:

- هلاً غادرتم من فضلكم؟ علينا استكمال رعاية هذه الحالات.

دعونا نُتمم واجبنا أوّلاً، ثم تعالوا ثانيةً لإتمام مهمتكم.

يُطلق الضّابط الكبير أمراً جديداً، بلهجة تهديد:

- دوّنوا اسمها هي أيضاً.

تقترب "سيفجي هانم" من سريري، وتقف بجانبني. يطلب مني أحد الضباط تسليمه بطاقتي الشخصية. تتدخل بسرعة، وتقول:

- إنها خادمتي. لقد سقطت من أعلى السلم وهي تُنظّف.

يبدو الضابط الشاب مُقتنعًا. تعكس عيناه نظرة الفقر التي أعرفها جيّدًا. أنا شبه مُتأكّدة من أنه لا يملك سيارة. يصيح الضابط الكبير مُجدّدًا:

- خذ بطاقتها هي كذلك.

هو أيضًا قادم من قلب الفقر، لكنه بفضل سيارته ("فورد مونديو" ربما، ومستعملة أيضًا) استطاع أن يتخطى حاجز الفقر بالكاد. أبدت "سيفجي هانم" اعتراضها، لكن الضابط الكبير يقاطعها:

- لا شيء يستدعي القلق يا سيدتي. إن كان ما تقولينه صحيحًا، فلن

تكون هناك مشكلة، أليس كذلك؟

لكن نبرات صوته كانت تشي بالعكس تمامًا. تلتفت "سيفجي هانم" نحوي، وتقول مُطمئنة:

- سيكون كل شيء على ما يُرام. ناوليه بطاقتك. سوف أتصل بـ"مراد"، لديه عدد من الأصدقاء من المحامين. سوف يهتمون بك.

بينما كانت تتكلم، أتذكر ما كان "مراد" يفعله داخل سيارته الـ"بي إم دبليو"، مع تلك المرأة. أشعر بالأسى حيال "سيفجي هانم". يجمعون بطاقتنا، ويغادرون، تاركين شرطين اثنين لمراقبة المدخل. الألم أقل حدة الآن، بفضل المحاليل والأدوية المُسكِّنة. الضمادات تغطي أنفي. أشعر بتورم أسفل عيني. جُرحت ركبتاي حين سقطتُ على الأرض. تحرقاني كالنار.

بعد بضع ساعات، يعود الضابط الكبير مع رجاله، ويأخذون تسعة مرضى للحجز في قسم الشرطة. أنا واحدة منهم. تحاول "سيفجي هانم" منعهم، دون فائدة. أجلس بجوار النافذة في سيارة

الشرطة الـ"ميكروباص"، وتنطلق بنا. الشاب الذي يركب "أودي كيو 7" بجوارنا، يعتمد في حياته على بابا، وفلوس بابا! تنطلق الموسيقى من سيارته بصوتٍ مرتفعٍ جدًّا، ويضرب بأصابعه على المقود، وفقًا لإيقاعها. إنه يدرس في جامعة خاصَّة، على الأغلب. سيشعر بالملل من هذه السيارة، بحلول العام المقبل، وعندها سيطلب بـ"مرسيدس سي إل إكس"، وسوف يسارع بابا بشرائها طبعًا! على كل حال، إنه يستحق هذه المعاملة الخاصة، بطبيعة الحال. لمَ لا وهو لا ينتمي لجانبنا نحن من المدينة؟

يتحول ضوء إشارة المرور إلى اللون الأخضر.

أمضي الليلة داخل زنزانة في القسم، بمفردي. إنها ليلة كالجحيم، أنا متعبة للغاية، ومع ذلك يُجافيني النوم تمامًا. صباحًا، يبلغونني بوصول مُحامٍ أرسله "مراد بيه". المحامي متزوج. لم يَطأَ بقدمه

جانبا من المدينة. إنه يركب "فولفو إس 70". أنا متيقنة من ذلك. أقصُّ عليه كل شيء. يقول لي:

- لا تقلقي. سنفعل كل ما بوسعنا. سأحاول إبقاءك خارج السُّجن، حتى موعد المُحاكمة.

أصيح:

- أيُّ مُحاكمة؟ ماذا تعني؟ أنا لم أفعل شيئاً!

يُجيبني:

- أصدِّقك، لكن المشكلة هي أن صورتك تحتلُّ الصفحات الأولى لجميع جرائد اليوم!

يمدُّ يده إلى حقيبته الجلدية، ويسحب منها صحيفة. العنوان الرئيسي هو "المُخربون!" وتحتته صورتي وأنا أجلس في منتصف الطريق، والدماء تُغطِّي وجهي.

أكرّر ثانيةً:

- ولكنني لم أفعل شيئاً!

يتسلّل الخوف إلى نفسي. يذكّرني المحامي بحقي في التزام الصمت، ويؤجّهني بعدم التصريح بأي شيء داخل قسم الشرطة، ويقول كل ما لديّ أمام وكيل النيابة. يخبرني بأننا سنتحدّث مُطوّلاً، بشكلٍ مفصّل، إذا ما استمرّ احتجاجي، ثم يُصافحني ويستدير ليغادر. أصبح وراءه:

- من فضلك.. أخبر أُمي بأني بخير.

يرفع يده ليطمئنني بأنه سيفعل. تأتي شرطةية وتمسك بذراعي، ثم تعيدني إلى زنزانتي. إنها من جانبنا. ربما عملت أمها كخادمة في البيوت، كي تعلّمها. إنها غير متزوجة، وفي الوقت الحالي تكتفي بالحلم بامتلاك سيارة.

بعد يومين، يخرجوننا من الزنازين، ويخبروننا:

- ستذهبون للمحكمة.

هناك أربع نساء غيري. أجلس بجوار النافذة، في "ميكروباس" الشرطة. تنطلق بنا السيارة، بعد امتلائها بالمحتجزين. في طريقنا من "أولوس" إلى "صحيه"، أتأمل المرأة في الـ"فورد فوگس" البيضاء. إنها مندوبة لإحدى شركات الأدوية، بلا شك. أنيقة، بتئورة قصيرة جداً، ونظارة شمسية. كل ما فيها يكاد يصرخ: "أنا من جانب مختلف تمام الاختلاف، من المدينة". السيارة ليست ملكها، بل من سيارات الشركة. المرأة عزباء. تبدو سعيدة، لكنني أشعر بأنها تُخبئُ حزنًا وحكايات تحت هذا القناع السعيد. إنها تدرك أن هذه السعادة ليست ملكًا لها، تمامًا كالسيارة التي تقودها. لقد استعارت الاثنتين لبعض الوقت. تحوّلت إشارة المرور إلى اللون الأخضر.

يُوجّه وكيل النيابة أسئلة قصيرة، فأردُّ بإجابات قصيرة. إنه في مُقتبل العُمر. شيءٌ ما في هذا الشاب، يحمل بقايا رائحة الفقر. أُخْمِن

بأنه متزوج، وأنه يمتلك "نيسان أميرا" مستعملة، على الأغلب. كان يكره فقره، ويرغب حقًا في الابتعاد عن تلك الذكريات بأقصى ما يستطيع من سرعة. لا ينظر إليَّ إلا مرّة واحدة فقط. يقول محاميّ:

- لا سبب يستدعي احتجازها.

أو شيء نحو ذلك. يطلب منّا وكيل النيابة الانتظار في الخارج. نقف في القاعة الخارجية لأربع أو خمس ساعات كاملة. بعد أن ينتهي التحقيق مع الجميع، يفصلونني أنا وخمسة عشر، أو عشرين شخصًا آخرين، عن الباقين، ويخبروننا بأن وكيل النيابة قد طلب إبقاءنا في الحجز حتى موعد المحاكمة. أبكي وأتساءل:

- حجز؟ ما معنى ذلك؟

يحاول المحامي مؤاساتي وتهدئتي. بعد قليل، أفف معه أمام أحد القضاة. يُكرّر القاضي عليّ الأسئلة ذاتها التي وجّهها لي وكيل النيابة.

أردُّ بالإجابات ذاتها. القاضي متزوج، وقد نسي تمامًا كل ما يتعلَّق بالفقر، إنه يقود "سكودا سوبيرب" جديدة. سوداء، بمقاعد جلدية.

تنطلق بنا السيارة في الظلام، باتجاه مبنى سجن "سجنان". يرفضون السماح لي بالجلوس بجوار النافذة. أشعر بالضيق طوال الرحلة. لا يقطع الصمت إلا الأصوات التي تنبعث كل قليل من أجهزة اللاسلكي. الحراسة في مدخل السَّجن تطلب منَّا خلع جميع ملابسنا، ثم يُقمن بتفتيشنا. جميع السَّجَّانات ينتمين لجانبنا من المدينة، ويُدركن جيِّدًا أنهم سيبقيين فقيرات للأبد، ولذلك فإنَّ أيًّا منهن لا تجرؤ حتى على مجرد الحلم بامتلاك سيارة. لسنا السبب في فقرهن، لكنهن يُعاملننا كما لو كُنَّا كذلك.

لقد مرَّ على وجودي في السَّجن ستة أشهر. أشارك الزنزانة مع سبع نساء أخريات. جميعهن من جانبنا في المدينة. إنهن مهرجات ومرحات، ويعرفن شيئًا أو اثنين من تلك الأمور.. تفهمون ما أعني!

هناك إعادة مُحاكمتي بعد شهرين من الآن. تأتي أمي لزيارتي أسبوعياً. عادت للخدمة في البيوت، مرّةً أخرى. تبلغني دوّمًا سلام "سيفجي هانم". في المرّات الأولى للزيارة، كانت أمي تبكي، لكنها أفضل حالًا الآن. كان عيد ميلادي في الأسبوع الماضي. أعدت لي صديقاتي كعكة على هيئة سيارة، من حبّات البسكوت. ضحكنا طويلاً على تلك الكعكة.

أنا ابنةُ أبي حقًّا. ابنة الرجل الذي تهشّمت أحلامه بـ"موستانج" جميلة، تحت باص قديم وصدي. لم أشارك في حياتي في أي مظاهرة أبدًا. أنا امرأة عاملة، يتراكم الغضب بداخلي في هذا السّجن. هنا، حيث أتعرّف إلى ملامح جديدة لحينّا. قد لا أمكث في السّجن مدةً أطول، ولكن الأشهر الستّة الماضية جعلتني أتعرّف على نفسي. تعلّمتُ درسًا آخرَ هنا: في بعض الأحيان، إن مشيتَ بشجاعةٍ وتصميمٍ، فسوف تكون أسرع من أي سيارة. أنا "نازان" الخادمة.. انتظريني يا "أنقرة"، فسوف أخرج لمواجهتك قريبًا.

4

ليس الأمر كما تظنون



أضع الحبل حول رقبتني، ثم أركل المقعد بسرعة. يتدحرج المقعد على الأرض. أهدق في السقف، مُستغرقًا في التّفكير. انتظرتُ أن تتوالى مشاهد حياتي أمام عينيّ، كشريط سينمائي. مرّت عشر دقائق كاملة، لكنّ شيئًا لم يحدث. عوضًا عن ذلك، تُومض في ذهني صُور مُتتابة لوجهها الباسم. حياتي، التي تنحصر في وجودها، وابتسامتها، على وشك الانتهاء، لولا أنني أستلقي على الأرض. حسنًا.. تبين لي أنه كي تنجح في شق نفسك، عليك أن تفعل ذلك وأنت غير مُستلقٍ بجسدك على الأرض. بعد أن أكتشف ذلك، تعصف بي رغبة جامحة في الحياة. ينتابني أيضًا شعورٌ بالارتياح، لانتهائي من أداء مهمة محاولة الانتحار اليومية. أقف وأزيل الحبل من حول رقبتني، ثم أذهب إلى المطبخ، وأقلي لنفسي ثلاث بيضات للإفطار. بعدها، أحلق ذقني، وأرتدي ملابسني وأغادر المنزل.

داخل المصعد، ألتقي العمّ "قادر". إنه زعيم عصابة مافيا، مُتقاعد.

أبادره بالتّحيّة:

- صباح الخير يا عمِّي.

- صباح الخير يا "موستي". كيف أحوالك؟

- جيِّدة يا عمِّي، كما أظنُّ. أعتقد..

كنت أودُّ أن أقول له: "في الحقيقة يا عمِّي، لقد حاولتُ الانتحار منذ قليل".

كنتُ أرغب في أن يضمَّنني ويربت على رأسي، وأن يُشعِرني بالتعاطف، وبشيءٍ من المودَّة؛ لكنني بدلاً من أن أخبره بأي شيء، اكتفيتُ بالنظر إليه نظرةً مَن حاول الانتحار للتَّوَّ. أردته أن يشعر بالمسألة من تلقاء نفسه، لكنه فشل في ذلك. أحسستُ بالأسى. بعد خروجنا من المصعد، التفت نحوِي متسائلاً:

- هل تُعاني من مشكلةٍ ما في عينيك يا بُنيَّ؟

حاولتُ التَّماسُكُ ومنع دموعي، وأجبتُه:

- كَلَّا يَا عَمِّي. ليس بالضبط.. أعني..

- إذن، ما الذي يجعلك تلبس هذه النظارة الشمسية العجيبة،

داخل المصعد، يا غبي؟

ذكَرْتَنِي عبارته بالمثل الذي يدور حول البطيخة التي سقطت من

على ظهر الحمار، وتكسَّرت، كذلك كَمَن يحاول يثير انتباه الغبي. ولذا

شعرتُ بأنني الحمار الملعون، وليس البطيخة.



سرتُ في الشوارع لبعض الوقت، دون هدف، مذكِّراً نفسي بأن لديَّ

سبباً وجيهاً لعدم الذهاب إلى وظيفتي اليوم، فأنا عاطل عن العمل،

أساساً. أنا عاطل منذ شهرين كاملين. وحين أقول "الوظيفة"، فإنني

أعني توصيل الطلبات للمنازل في مطعم بيتزا. كنتُ أقوم بتوصيل

البيتزا. للدقَّة، فعلتُ ذلك ليومٍ واحدٍ فقط. في يومي الأوَّل، سُرِقَ منِّي

موتوسيكل المطعم. طلبوا منِّي عدم العودة ثانيةً. لم يسبق لي العمل

قبلها. كان أبي، حفظه الله، يرسل لي شهرياً مبلغاً من المال، لكنني حين بدأت العمل، طلبتُ منه التَّوَقُّفَ عن إرساله، وأخبرته بأنني لم أعد بحاجةٍ إليه. شعرتُ بِخَرَجِ بالغ من الاتِّصال به في اليوم التالي لأخبره بأنني قد فُصِلْتُ من وظيفتي. يعتقد والدي أنني ما زلتُ أعمل في توصيل البيتزا. الحقيقة، إنه يظنُّ أنني صرتُ أملكُ محللاً لبيع البيتزا. عندما اتَّصل بي الأسبوع الماضي، قال:

- كنتُ أودُّ أن أسألك يا بُنَيَّ منذ فترة.. ما هي البيتزا أصلاً؟



يعيش أهلي في جبال "كارليوفا"، واستقبال المكالمات التليفونية هناك بشعٍّ للغاية. وسط التَّشَوُّشِ المتبادل بين تليفونينا، أقول له:

- إنها.. من موادِّ البناء.

يُجيبني:

- جميل..

ينقطع الخطُّ فجأةً، ويتَّصل بي مرَّةً أخرى بعد قليل، ليسألني:

- أيُّ نوعٍ من موادِّ البناء؟

لم أجبه. تنقطع المكالمة للمرَّة الثانية.

أسيرُ مُتمهلاً أمام بيت "بيرنا". هي لا تكون في المنزل في هذا الوقت من اليوم. إنها تعمل في بنك، أو لصالح بنك، شيء من ذلك القبيل. ما أعنيه هو أنني قابلتها للمرَّة الأولى داخل سوبرماركت. ما إن رأته حتى سألتني:

- هل يمكنني التحدُّث إليك بخصوص بطاقات الائتمان يا سيدي؟

أجبتها بالنفي، لكنها ألحَّت في طلبها، وكرَّرتُ أنا رفضي. قالت:

- كل ما عليك فعله هو السماح لي بتصوير بطاقتك الشخصية،

وسوف أتولَّى أنا القيام ببقية الإجراءات.

لم أستطع إحباطها للمرَّة الثالثة، ولذلك أعلنتُ موافقتي. قالت:

- عظيم!

جعلتني أوقع بعض الأوراق، بسرعةٍ هائلة. قرأتُ الاسم المُعلَّق على صدرها: "بيرنا"، وهكذا عرفتُ اسمها. هي أيضًا تعرف اسمي، فقد قرأته وهي تصوِّر بطاقتي. لقد مرَّت سبعة أشهر، منذ ذلك اليوم، ولكنني متيقن من أنها لم تنسني، فقد منحتني حينها ابتسامة رائعة حقًا. ذهبتُ لرؤيتها في اليوم التالي، مباشرةً، وتبعتها حتى بيتها، لكنها لم تلحظ وجودي. حين لم تظهر في السوبرماركت في الأيام التَّالية، توجَّهتُ إلى البنك لأسأل عن مكانها. طلبوا مني أخذ رقم، وانتظار دوري. عندما حان دوري، أعدتُ سؤالي عليهم. أمروني بعدم العودة ثانيةً. لم أرَ "بيرنا" مرَّةً أخرى، أبدًا. أنتظرها أمام بيتها، ليل نهار، لكنني لا ألمحها مُطلقًا. ما زالت ابتسامتها معي.



يعتقد والدي أنني أدرس الهندسة المدنية، هنا في "إسطنبول". لقد مرّت أربع سنوات، ويُفترض بي أن أتخرّج قريبًا، ولكن لأنني لم أنهِ دراستي الثانوية أصلًا، فإن إدارة الجامعة رفضت السماح لي بأداء امتحانات القبول.

في العام الماضي، حين كان يقوم باستبدال السطح الطيني لبيتنا، اتّصل بي أبي طلبًا للمشورة، فُلتُّ له:

- لم نصل لهذا الجزء في دراستنا، بعد.

عندما سألتني "بيرنا" عن وظيفتي، أخبرتها بأنني مهندس مدني. ما زلتُ أحمل بطاقة الائتمان معي. تمَّ إلغاؤها حين فشلتُ في سداد فاتورتي الأولى، لكنني لا أتحمّل فكرة التخلُّص منها. في الشهر الماضي، جاءني عددٌ من المحضرين للحجز على مُمتلكاتي. سألوني:

- هل أنت "مصطفى بيه"؟

- نعم. أيُّ خدمة؟

أخذوا كل ما لديّ، ورحلوا. ليتني أستطيع العثور على "بيرنا".
أودُّ أن أشرح لها سبب فشلي في دفع فاتورتي. أشعر بالحرج لأنني
خذلتها.

الحقيقة أنني لستُ الشخص الذي تظنون أنكم تعرفونه. قبل
"بيرنا"، كان هناك "نرجس". إنها الفتاة التي أحببتها، أو وددتُ أن أحبها
على الأقل. إنها ابنة "غيّث الدين بيه". يسكنون في العمارة المواجهة
لمسكني. مرّت بجوارني في الشارع، في إحدى المرّات، ومنحتني ابتسامة
رائعة الجمال. تدرس "نرجس" في الجامعة. ذهبتُ هناك، مرّةً من
المرّات، لرؤيتها. جلستُ أمام المدخل، منتظرًا انتهاء مُحاضراتها، أفكر
في العبارة التي سأقولها لها:

- أخبريني يا "نرجس" .. بأي طريقة أحبك؟

بطريقة المرضى النفسيين والمهووسين؟ أحفر اسمك على صدري
بموسي حلاقة؟ سوف أكسر يد أي رجل تصافحينه، لأنك لم تتنازلي

ولو مرّةً وتوافقين حتى على لمس يدي. سوف آتي هنا يوميًا، وانتظر
أمام هذه البوابة. سوف أمسك ذراعك بقوة، وأقول لك:

- هيا بنا. لنذهب إلى أيّ مكان، أنا وأنتِ فقط.

سوف أحطّم رأس أي شخص يُحاول اعتراض طريقنا. كلما طلبتِ
منّي ترككِ وشأنك، بالغتُ في تحويل حياتكِ لجحيم. سوف أعسكر أمام
بيتكِ في ساعةٍ متأخرةٍ من الليل. ستطلين عليّ من نافذتكِ، ترتجفين
خوفًا، وفي الوقت ذاته يملؤكِ إحساسٌ بالرّهو. ستبلغين الشرطة عني،
وسياخذونني إلى القسم. مع كل ركلةٍ أتلقّاها، ومع كل لكمة، سأصيحُ
مُناديًا اسمك. كل ضربةٍ ستُقرّبني منكِ أكثر. إذا لم أحصل عليكِ يا
"نرجس"، فلن تكوني من نصيب غيري. مصيركِ إمّا معي وحدي، وإمّا
تحت التراب. سأحيلُ حياتكِ سجنًا. ستفقدين أيّ رغبةٍ في الحياة.
ستأتيني بعدها، ودموعكِ تسبقكِ، وتقولين لي:

- أُوَسِّلُ إِلَيْكَ.. دَعْنِي وَشَأْنِي. لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَحْبَبَكَ. أَنَا أَخَافُكَ. أَنْتَ

تُدْمِرُ حَيَاتِي. أَلَا تُدْرِكُ ذَلِكَ؟

عِنْدَهَا فَقَطْ، سَأُدْرِكُ الْحَقِيقَةَ الْمُرَّةَ. سَأُسْتَخْدِمُ مُوسَى حَلَاقَةً لِتَخْلِيدِ
حَبِّي لَكَ فِي شَرَايِينِ يَدَيَّ. سَأَتْرِكُ لَكَ خَطَابًا، وَسَتَغْرِقِينَ فِي دَمِوَعِكَ
الْغَزِيرَةَ وَأَنْتِ تَقْرئينِ، وَحِينَهَا فَقَطْ سَتَفْهَمِينَ كَمْ أَحْبَبْتِكِ. سَتَأْتِينَ إِلَى
قَبْرِي، حَامِلَةً أَزْهَارًا بَرِيَّةَ، وَسَتَقْرئينِ عَلَى الشَّاهِدِ الْحَجْرِيِّ الْعِبَارَةَ
التَّالِيَةَ: "هَلْ جِئْتِ لِرُؤُوتِي يَا نَرْجِسُ؟".

أَخْبِرِينِي يَا "نَرْجِسُ".. بِأَيِّ طَرِيقَةٍ؟

يُمْكِنُنَا، إِنْ أَحْبَبْتِ، أَنْ نَخْأَدِرَ الْجَامِعَةَ يَوْمِيًّا مَعًا، وَأَنَا أَحْتَضِنُ يَدَكَ
فِي كَفِي. لَا شَيْءَ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا. سَنَكُونُ زَوْجًا مِنْ الْيَمَامِ. سَيَحْسُدُنَا
الْجَمِيعُ. سَيَحَاوِلُونَ تَقْلِيدَنَا، وَيَفْشَلُونَ، وَسَوْفَ يَتَسَبَّبُ ذَلِكَ فِي تَفَاقُمِ
الْمَشْكَلاتِ بَيْنَ الْعُشَّاقِ. لَنْ أُنَادِيكَ إِلَّا "حَبِيبَةَ قَلْبِي"، وَلَنْ تَخَاطِبِينِي إِلَّا
بِـ"حَبِيبِي". سَنَكُونُ رُوحًا وَاحِدَةً دَاخِلَ جَسَدَيْنِ. فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ،

سننتقل للعيش معًا، مُنهيين عذاب الافتراق عن بعضنا ولو لساعات.
سنزّين جدران بيتنا بالقصائد التي كتبتها لك. كل لحظة لنا معًا ستكون
كمشهد من حكاية أسطورية رقيقة. لن نسأم من تبادل النظرات
المُحبّة، وسوف تُسكرني على الدوام رائحة جسدك الخلابّة. سنعيش
وكان الدنيا تخلو إلا منّا نحن الاثنين، وفي يومٍ من الأيام ستكتشفين
أن هناك شخصًا ثالثًا يشاركنا الحياة. ستعرفين أن في حياتي امرأة
أخرى اسمها "جيدا"، وأني أرسل لها كثيرًا من الهدايا. لن تصدقي
ذلك، في بادئ الأمر، وستقولين إن ذلك مستحيل، وإنني لن أفعل
شيئًا مُماثلًا أبدًا. بعدها، لسببٍ أو لآخر، ستُصدّقين المسألة،
وستشعرين بالانهيار، ولن تُغادري البيت لأسابيع. ستفقدين
إيمانك بالجميع، بل بالإنسانية ذاتها. ستشمزّين حين أمرُّ بخاطرك.
وبينما تجذبني المياه الباردة للـ"بوسفور" نحو الأسفل، بسرعة هائلة،
تقرئين الخطاب الذي تركته لك. ستنهمر دموعك دون توقّف، حين
تفهمين أخيرًا أن "جيدا" ليست سوى أختي، وأني لم أحبّ امرأة

عداكِ. ستأتين إلى قبري، حاملةً باقة من الأزهار البرّية. ستقرئين على
الشاهد الحجري لقبري: "هل هذا أنتِ يا نرجس؟".

والآن، أخبريني يا "نرجس": بأي طريقةٍ أحبُّكِ؟



يُمكن لحبُّنا أن يُولد من رحم العَمَل، وأن ينضج بعَرَق العُمَال
المُكافحين. سنُسرع الخُطى للحاق بمظاهرةٍ تلو الأخرى. سيتمزج عَرَق
جسدنا معًا. سنُخلِصُ لقضايانا المشتركة، ولأحدنا الآخر. سنسير يدًا بيد
في درب الثورة المُضيء، ونواصل اكتشاف أحدنا الآخر خلال ذلك.
سنتعرّض لتحقيقاتٍ قاسية، تزيد من متانة حبُّنا. سنُساهم في تشكيل
مستقبل باهر للمطحونين. سيكون العمل هو سبيلنا للحب، والمقاومة
نهجنا للحرية. ستكون الشجاعة والتضحية هي القوانين التي تحكم
حياتنا المهتدة بالمخاطر. في أحد الأيام، ستنهارين تحت ضغط
التعذيب الرهيب، وستخبرينهم عن المكان الذي أختبئ فيه.

فَجَرًّا، وقبل حتى بزوغ أوّل أشعّة الشمس ومُعانقتها للنجمة الحمراء فوق جبيني، يهاجمون البيت، ويطلقون رصاصة على رأسي. ثم سيعثرون على الخطاب الذي كتبتَه لك. ستغرقك الدموع الغزيرة وأنتِ تقرئينه، لأنكِ عندها فقط ستفهمين كم أحببتك. ستأتين إلى قبري، ومعكِ أزهار بريّة. ستجدين على الشاهد الحجري لقبري عبارة: "هل هذه أنتِ مرّة أخرى يا نرجس؟".

يُمكنني أن أحبكِ يا "نرجس"، ولكن أخبريني فقط بأي طريقة؟



على سبيل المثال: يُمكن لعلاقتنا البسيطة هذه أن تنتهي بسيجارة حشيش، ملفوفة جيّدًا، إذ سنُدرك بعدها بأن بإمكاننا التغلب على إحباطات الحياة بإشعال واحدة جديدة. سنتخذ البوهيمية أسلوبًا لحياتنا، وسنحبُّ ذلك؛ لكن هذا سيكون بداية انهيار علاقتنا. سنعمل في الـ"بارات"، أنا وأنتِ، لنتمكن فقط من شراء الحشيش. سنتذمر

وننتقد الظلم وعدم المساواة، وسيكون غضبنا المزعوم مُجرّد حجة لإشعال سيجارة أخرى. في كل يوم، سنحطم "تابو" جديدًا، وسنعتنق فكرة الحرّية الجنسية. لن نفكر بالماضي على الإطلاق، ولن يشغلنا التخطيط للمستقبل. سنعيش اللحظة، بلا مُبالاة. سيتعكّر مزاجنا، ليس بسبب أن فطيرة "اللحم بعجين" يبلغ سعرها 50 ليرة، وإنما لأن هناك مَنْ يشتريها بهذا الثمن أساسًا. سنختار العيش في "أوليمبوس"، يا "نرجس". في أحد الأيام، وبينما أكون في المنزل بمفردي، أفقد أعصابي تمامًا. أسأل نفسي عن معنى حياتي القذرة، الحقيرة. أسارع بالخروج لأشرب. بعد البيرة الرابعة عشرة، أبدأ شجارًا ينتهي بطعنة أتلقها من أصحاب الـ"بار". يعثرون في جيبي على خطاب موجّه لك. تغرقك الدموع .. حسنًا.. أنتِ تعرفين الباقي دون شك. ستقرئين على الشاهد الحجري لقبري، سؤالي الحائر: "فعلًا يا نرجس؟!".

بينما أنا مُستغرق في تخيل كل هذه السيناريوهات، رأيتُ "نرجس"
تسير باتجاهي. عند اقترابها مني، شعرتُ بضعفٍ مُفاجئٍ في جسدي،
ولله الحمد كنتُ جالسًا، وإلا لسقطت. مرّت بجانبِي، دون أن تنظر
إليَّ. لكنها نظرت باتجاهي. أنا مُتيقّن من أنها كانت تبحث عني، لكنها
لم تراني. كانت ابتسامتها لا تزال معي.

لم أكن هكذا على الدوام. ليس الأمر كما تظنون. كل المشكلات التي
أعاني منها، حدثت بسبب حبي لـ"سمرا".

ظهرتُ "سمرا" أمامي، فجأةً، في أحد الشوارع الضيقة المتفرعة من
السوق القديم، المعبق برائحة التوابل والمنسوجات. حين رأيتني،
تجمّدت في مكانها. تجمّدتُ بدوري. للحظاتٍ قليلة، تبادلنا الكلام
بأعيننا فقط. في تلك اللحظات، اكتسب الشارع المُزدحم هدوءًا
استثنائيًا، كأنه يخلو إلا منّا نحن الاثنين فقط. لم تتغيّر على الإطلاق، لا
تزال بالسحر والجادبية نفسيهما، رغم مرور كل تلك الأعوام. في

البدء، أحاط بنا التردُّد. كان بإمكاننا تجاهل بعضنا والادِّعاء بأن أحدنا لم يرَ الآخر، ثم مواصلة السَّير، بدلاً من فتح الجراح القديمة. لو فعلنا ذلك، لما شعرنا سوى بومضة ألم خاطفة، كانت ستنتهي بمجرد وصولنا لنهاية الشارع، ولما تبقَّى من أثرها سوى ابتسامة تعكس وجعنا، وبعدها نفترق.. كل واحدٍ منَّا في درب. لكن ذلك ليس ما نفعله، وإِما نسير باتِّجاه أحدنا الآخر، ونقف متواجهين، أمام براميل معجون الشَّطَّة. رائحة ذلك المعجون تحرق أنفي. تدمع عيناى من الألم. أحاول التحكم في دموعي، حتى لا تسقط من عيني، وتخطئ في فهمها. لعلَّ الشَّطَّة هي السبب في الدموع المُتجمِّعة في عينيها، والتي أضافت لمسة عسلية لونهما الأخضر.

أتساءل عن السبب الذي يجعل الأطعمة الحارَّة تُكوِّن الدموع في أعيننا؟ لا بدَّ من وجود سببٍ علمي. لو أنني كنت أعرفه في تلك اللحظة، لقمْتُ باستغلاله لفتح حوار معها. لكن الواقع هو أنني لم أعرف ماذا أقول، وكأن كل الكلمات التي أعرفها مُسِحَّت من ذهني.

وسط الصخب الهائل بين جنبات السوق، أسمع كلمة "أهلاً". الحقيقة
أنني لم أسمعها بأذني، لكنني قرأت شفيتها. أجبتها:

- أهلاً. يصعب تحمّل ذلك.

أجابتنني:

- نعم. أنت مُحِقٌّ.

تركّزت نظراتها على براميل الشّطّة.

تسلّلت أشعة الشمس من شِقِّ في المظلة القماشية الكبيرة التي
تُغطّي مدخل الدُّكان، واستقرّ شعاعٌ منها على شعرها البُنّي الفاتح.
كانت هذه نهاية رحلته التي دامت ملايين السنين. مَنْ كان يدري أن
رحلة ذلك الشعاع ستقلب حياتي رأساً على عقب؟

لم أشعر بأننا افترقنا منذ سنتين. كأننا جئنا الدُّكان معاً. امتدّت يدي،
دون وعيٍ منّي، لتزيل شعاع الشمس عن شعرها.

- لا!

لكن صوتها المُعْتَرِض وصل إلى مسامعي، متأخراً. كنتُ قد انتهيتُ
من جَمع خيوط الشمس من بين خصلاتها. قبضتُ يدً على رِسْغِي.
التفتنا معاً لرؤية صاحب اليد.

صاحت حبييتي:

- لا!

لكنها كانت تخاطب الرجل الآخر، هذه المرّة. تردّد عويلٌ موجوعٌ في
جنبات السوق المزدهم. لم أرَ شفيتها، لكن صوتها اخترق أذنيّ. ارتمت
حبييتي فوق جسدي النازف. تبع ذلك صوتٌ آخر. غطّى شعرها
وجهي. تبقّعت خصلاته البنيّة بالدم. سقطت قطرة عسل من عينها
فوق شفتيّ. اختلّطت رائحة الدماء بروائح التوابل. تبدّلت الأصوات
المرحة التي تميّز السوق بضجيجٍ مُزعجٍ للغاية.

قد تظنُّون أنني شخصٌ باردٌ، مُنعدم المشاعر، بسبب الأسلوب الذي أقصُّ به الحكاية، لكن الحقيقة هي أنني آثرتُ الاستسلام ذلك اليوم، فحين غادرتُ حبيبتي بغتةً، أخذتُ حياتي معها. التعبير الحزين الذي ارتسم على ملامحها، هو الضربة التي أصابتنِي في مقتل. يقع قبوري في عيني "سمرا" الحمراءوين، أما قبرها هي فيقع أسفل شجرة في القرية. لا تزال ابتسامتها معي.

كل مشكلة مررنا بها، سببها الحبُّ. أنا الآن مُجبرٌ على استكمال حياتي برصاصةٍ داخل رأسي. إنها هديةٌ من شقيق "سمرا" لي! عقلي يأتي ويذهب، عادةً، ولكنه في بعض الأحيان يذهب دون عودة. كل ابتسامَةٍ جميلةٍ تُعيدني إلى "سمرا". ليس في وسعي حصر الأرواح التي أزهقتُ فداءً لابتساماة. رجاءً، لا تنظروا إليَّ على هذا النحو. ليس الأمر كما تظنُّون.

5

تحية للعيون السود



كانت الساعة تمام السادسة، حين دقَّ المنبّه. أغلقه "حسين"، قبل أن ينزل من الفراش العلوي في السرير ذي الطابقين. خلال ذلك، أيقظ صديقه "جمال" بركلةٍ خفيفةٍ من قدمه. "جمال" صديقه منذ الطفولة. هما من القرية نفسها، وكانا يذهبان للمدرسة ذاتها، لكن "حسين" ترك مقاعد الدراسة عقب الصف الثالث الابتدائي، بينما واصل "جمال" الدراسة لعامٍ كامل، ولعل هذا يُفسَّر سبب مُعاملة الأخير له - في بعض الأحيان - كجاهلٍ وأحمقٍ.

ما إن لامست قدماه الأرض، حتى تذكَّر "حسين" أن هذا النهار مُرتبطٌ بحدِّثٍ مهمٍّ. إنه يومهما الأخير في موقع البناء الذي يعملان فيه منذ 15 شهرًا. أسابيعٌ مُتتالية من العمل الشاق المتواصل لـ 12 ساعة كاملة، وليلة تلو أخرى من نومٍ قليلٍ للغاية. مرَّت سنة ونصف السنة منذ مُغادرتهما القرية، على أمل الحصول على وظيفة. في الأشهر الثلاثة الأولى في "إسطنبول"، دبَّرا أمرهما بالكاد من خلال أعمالٍ يوميةٍ مُختلفة، إلى أن حالفهما الحظ بالعثور على عمل في موقع

البناء هذا. في البدء، تردّد مدير الموقع في قبولهما، بسبب صغر سنهما، الذي لا يتجاوز السادسة عشرة، لكنه تنبّه للميزة في استئجارهما، فذلك يُتيح له دفع أجورٍ زهيدة، وتجنّب التأمين الاجتماعي لهما. هكذا، انضم "حسين" و"جمال" للأطفال الثمانية الذين يعملون في الموقع. من بين العمّال الستين في هذا المكان، لا يتمتع بالتأمين الصحي سوى 26 فقط، أمّا الباقون فقد وافقوا على العمل دونه. أن تضطر لممارسة أعمالٍ مرهقة في هذا العمر المبكّر أمرٌ شديد الصعوبة، لكنّ المشقّة الأكبر بالنسبة لـ"حسين" هي الأشواق التي تعصف به لـ"بيرفين"، الفتاة التي تركها في القرية.

غادرا سَكَنَ العمّال، ورائحة العَرَقِ العطنة المنتشرة فيه، مُتَّجِهِينَ إلى الكافيتيريا، حيث تناول كل منهما طبقًا من الشوربة المائلة للبرودة. بدلًا من التوجّه إلى موقع البناء، كما اعتادا في الأشهر الـ 15 الماضية، سارا نحو مكتب المحاسب، لتسلّم مُستحقّاتهما عن تلك الفترة. انضمّا للطابور الطويل من العمّال البائسين، ذوي الوجوه

الْمُتَعَبَةِ الَّذِينَ سَيَأْخُذُونَ أَجُورَهُمْ وَيَعُودُونَ إِلَى "إِسْطَنْبُول" لِلْبَحْثِ عَنِ
عَمَلٍ جَدِيدٍ.

تَمَيَّزَ حُبُّ "حَسِين" لـ"بِيرْفِين" بِطَفُولِيَّةٍ وَسَدَاجَةٍ تُشْبِهَانِ صَاحِبَهُمَا،
وَبِسْرِيَّةٍ وَزَعزَعَةٍ مِثْلَ عَمَلِهِ. كَتَبَ لَهَا خَطَابِينَ، مِنْذُ مُغَادَرَتِهِ الْقَرْيَةَ. فِي
الْحَقِيقَةِ، لَمْ يَكُنْ بِمَقْدُورِهِ تَوْجِيهِ رَسَائِلِهِ لـ"بِيرْفِين" مَبَاشَرَةً، وَلِذَلِكَ
أَرْسَلَهُمَا إِلَى شَقِيقَتِهِ "زَلِيخَةَ". قَالَ لِنَفْسِهِ حِينَهَا مُطْمَئِنًّا:

- "زَلِيخَةَ" بِنْتُ ذَكِيَّةٍ، وَسَتَفْهَمُ مَا أَقْصِدُ، وَمَنْ أَعْنِي.

لَكِنِ الْوَاقِعُ أَنَّ الْخَطَابِينَ كَانَا يَخْلُوانِ مِنْ اسْمِ "بِيرْفِين"، مِنْ
الْأَسَاسِ. وَمَعَ ذَلِكَ، تَوَقَّعَ أَنْ تَفْهَمَ "زَلِيخَةَ" مَرَامَهُ، وَأَنْ تَبْلُغَ "بِيرْفِين"
أَشْوَاقَهُ، رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ شَيْئًا عَنِ اشْتِيَاقِهِ لِأَيِّ شَخْصٍ. تَعَمَّدَ
الْغَمُوضَ التَّامَّ، قَدَرَ الْإِمْكَانَ، حَتَّى لَا يَتَصَيَّدَ لَهُ أَحَدٌ أَيَّ زَلَّةٍ. اعْتَمَدَ
"حَسِين" عَلَى الْعِبَارَةِ الَّتِي خَتَمَ بِهَا رَسَالَتِيهِ: "تَحِيَّاتِي لِلْعَيُونَ"

السُّود". صحیحٌ أن لكل من بالقریة عینین سوداویین، إلا أن عیني
"بیرفین" هما الأكثر سوادًا. فی الواقع، لم یکتب الخطابین بنفسه، وإنما
طلب من "جمال" فعل ذلك، فصدیقه شابٌ مُتعلِّمٌ، فی نهاية الأمر.
عندما لم یتلقَ ردًّا علی رسالتيه، تجددَ شعوره بالندم لعدم استكماله
تعلیمه.

سرت همهماتٌ غاضبةٌ فی أول الطابور الطویل، انتزعت "حسین"
من أفكاره الكثیبة. تبادل نظرات متسائلة مع "جمال". انتقل الخبر
بأصواتٍ هامسةٍ بین الواقفین الذین یصارعون إحساسهم بالضعف
والتعب. وصل إلیهما، فی نهاية الأمر: المحاسب غیر موجود أساسًا!
أبدى كل واحدٍ منهم رأیه فی الأمر، وتنبأ بعضهم بما سوف یحدث
بعد ذلك. هؤلاء الرجال الذین عملوا كالعبید لیل نهار لـ 15 شهرًا،
دون كلمة شكوى واحدة، بدأوا یعبرون عن تبرمهم وسخطهم
بأصواتٍ خافتة، وكانهم علی شفا ثورة. طال الانتظار، ومرّ الوقت

بُطءٍ يذكّر بالشهور الماضية. تلاشت الأصوات الغاضبة، وحلّ محلّها صمّتٌ مُتوتّرٌ.

كان "جمال" قد نسي تدوين عنوان موقع البناء في الخطابين. الأسوأ أيضًا أنه نسي كتابة عنوان عائلة "حسين" كاملاً على الطرفين. تسبّب التأخير في تلقّي ردٍّ من أخته، في إصابة "حسين" بالأرق، رغم المشقّة التي يتعرّض لها طوال 12 ساعة يوميًّا. في إحدى الليالي التي استلقى فيها مُسهّدًا على فراشه العلوي، تناول قلم حبر جاف، وكتب على السقف "بيرفين". حتى مع الظلام، كان اسمها مُضيئًا. عند تجصيص الجدران، كان يعمد إلى كتابة "بيرفين" مرّات عديدة، مستخدمًا مجرّفته الصغيرة، ثم يقوم بتغطية الأسماء بالحصّ. رؤية "جمال" لصديقه وهو على هذه الحال من العشق والحزن، أزعجته. حاول مواساته، والتخفيف عنه، دون جدوى. في النهاية، لجأ إلى سبّه وشتمه، كما قام بركله في إحدى المرّات. لكن "حسين" واصل تجاهله والاستغراق في أحلام اليقظة.

كانت أفكار "حسين" تحمله دومًا إلى ذكرياته في القرية، وأحاديثه مع "بيرفين"، خلال لقاءاتهما المُختلصة. أنهت "بيرفين" الصف الخامس الابتدائي، قبل أن يخرجها أهلها من المدرسة. ذلك قَدْرُ كافيٍ من التعليم للبنات، على كل حال، وسوف يتمُّ تزويجها في أقرب فرصة. أن تكون طفلًا في قريةٍ صغيرةٍ في "موش"، لأمرٍ صعب؛ لكن أن تكون بنتًا - فوق ذلك - فصعوبة أكبر. المأساة الحقيقية هي أن تكون تلك البنت واحدة ضمن العرائس القاصرات، لكن "بيرفين" وردةٌ بريئةٌ عنيدة، لا ترضخ للضغوط. رفضت السماح لأهلها بتزويجها، وكلما أثاروا المسألة أحالت حياتهم جحيمًا. كانت تحبُّ "حسين" حقًا، لكن طموحاتها كانت تتجاوزه بمراحل. لمَّحت له بذلك، وصارحته برغبتها في مُغادرة القرية. عذَّبته آمالها وأحلامها، فقد أدرك أن مشاعره القوية والعاصفة تجاهها ليست كافية. لم يصارح "حسين" أحدًا بآسائه، ولا حتى "جمال".

دبَّت الحركة في الطابور، ما إن خرج رئيس العمَّال من مكتبه. سرت همهمات خافتة بين الواقفين، لكنهم سرعان ما التزموا الصمت. سار رئيس العمَّال باتجاه رجاله، وأعلن بصوتٍ هادئ:

- يمكنكم تسلُّم جميع مُستحقَّاتكم من المكتب الرئيسي في "إسطنبول".
خيَّم الصمُّ على الجميع، ثم ارتفعت أصواتهم المُحتجَّة. أدار رئيس العمَّال ظهره لهم، مُغادرًا، ثم التفت نحوهم قائلاً:

- يُغادر الباص في العاشرة تمامًا.

أضاف:

- هل لديكم أيُّ سؤال؟

واصل العمَّال الصمت، ثم أطارقوا برؤوسهم، وجرجروا أقدامهم باتجاه الـ"ميني باص" القديم، الصَّدئ، الذي سيحملهم إلى المدينة.
أحسَّ "حسين" بالاضطراب والانزعاج، وامتلاً قلبه بالأسى.

إن كان هناك شخصٌ آخر، إلى جانب "حسين"، يشعر بلوعة الأشواق
لـ"بيرفين"، وبالقدر نفسه من الحزن، فهي أمُّها. عقب سفر "حسين"
بأسبوعين، اختفت "بيرفين". عندما لم تعد إلى البيت، تمتت أمُّها
بحرارة:

- لا تدعي أحدًا يؤذيكِ يا حبيبتِي. كوني قوية.

منذ ذلك اليوم، وهي ترفع عينيها للسماء وتدعو لـ"بيرفين" مع كل
أذان فجر.



خاض الـ"ميني باص" الطريق الطيني، مُتمهِّلاً. التفت "حسين"
وألقى نظرة أخيرة، من النافذة الخلفية، على المبنى الذي انتهوا من
تشييده. تمَّ تعليق لافتة فوق مدخله: "سجن أدرنة المُشدَّد". التفت
"جمال" بدوره، وشاهد اللافتة ذاتها. التقت أعين الولدين، ثم حوَّل كل
واحد منهما نظراته عن الآخر في حَرَجٍ، وقد غمرهما شعورٌ بالدُّنب.

مع نهاية الطريق الطيني، وبداية الطريق الرئيسي المُسْفَلت، تزايدت
سُرعة الـ"ميني الباص" القديم، واندفع نحو المدينة حاملاً العُمَّال الكبار
والصغار، المُسَجَّلين والسُرَّيين، مُبتعدًا بهم عن ماضيهم الكئيب.
في طريقهما إلى المستقبل المُوغل في الغموض، أرسل "حسين" تحيَّته
وأشواقه إلى العيون السُّود، بينما اكتفى "جمال" بصَبِّ لعناته على
صديقه، وعلى تلك اللافتة اللعينة.



6

خطاب للجنة قراءة الرسائل في السجن



عزيزتي اللجئة:

أكتبُ لكِ هذا الخطاب من زناتني ذات الحراسة المُشدَّدة. قد تتساءلين "لماذا؟" .. أجيبيك بالقول لأنني في السُّجن، وهذا سببٌ وجيه! لعلَّك تقولين لنفسك:

- حسنًا، إننا نعرف ذلك بطبيعة الحال. السؤال هو: ما الذي يجعلك تُوجِّه خطابك لنا؟ إننا نوشك على فقدان أبصارنا بسبب اضطرارنا لقراءة رسائلك التي لا تنتهي!

أقول لكم إن هذا تحديدًا هو السبب الذي يجعلني أكتب لكم أنتم، هذه المرّة. أعني.. بالله عليكم.. ما هذه الوظيفة التي اخترتوها لأنفسكم؟ تجلسون طوال اليوم لقراءة خطابات كتبها مجموعةٌ من الغُرباء! لماذا أصلًا؟ والمصيبة أن هناك مَنْ يدفع لكم أجورًا مقابل هذا! (2060 ليرة، شهريًا. إياكم والتَّهوُّر في إنفاقها!) عمومًا، ليس هذا هدفي من الخطاب. كي أكون صريحًا، لستُ متأكدًا من هدفي أساسًا (لقد

"استعرتُ" العبارات الأخيرة من إحدى قصص الكاتب "إلهامي آجور"،
وأرجو ألا يجعلكم ذلك تُقرّرون إزالتها من خطابي).

لقد خرجتُ عن الموضوع الذي كنتُ أودُّ التحدُّث فيه. دعوني
أختصر المسألة. إنني أتلقّى طلبات من معارفي في الخارج (هم
يعتقدون أنهم في الخارج حقًا) كي أكتب قصة إضافية واحدة. أخبرتهم
بأن من الأفضل إبقاء مراسلاتي قليلة، بدءًا من الآن، لأن أعضاء "لجنة
قراءة الرسائل" بدأوا يفقدون أعصابهم بسببي. إنني أدفعهم للعمل
ليل نهار، دون انقطاع. ما الذي يستحقُّ ذلك؟ صارحتهم كذلك بأنني
لستُ كاتبًا حقيقيًّا على الإطلاق، كل ما في الأمر أنك حين تنشأ في منزل
تعمل فيه الأم بالموسيقى، والأب صائغٌ ماهرٌ للكلمات، فإنك لا تملك إلا
أن تصبح مثلهما، على نحوٍ ما.

دعوني أوضح لكم الأمر: صغارًا، كُنَّا نستيقظ كل صباح على
عزف أمي على البيانو. كان بيتنا يتكوّن من حجرتين. كُنَّا نحن

الأطفال ننام جميعًا في إحداهما، التي تضمُّ آلة البيانو. كل صباح، دون انقطاع، كانت أمي - باركها الله - تدقُّ على أصابع آلتها. صدَّقوني، لا يزال صدى ذلك الصوت يتردَّد في أذنيَّ، حتى اليوم. حين كبرتُ قليلًا، وذكَّرتها بالأمر، قالت:

- هل أنتَ أحمق يا بُنيَّ؟ أيُّ بيانو؟ بالله عليك! كانت ماكينة خياطة. كنت أعتمد عليها لكسب دَخل إضافي.

لكن صوت الماكينة في آذاننا كان موسيقى، وهذا هو لبُّ المسألة، أليس كذلك؟ أعزَّائي أعضاء اللجنة، أغلب الظن أن لديكم أطفالًا - حفظهم الله - ولذلك اسمحوا لي بتوجيه نصيحة لكم: إن أردتم منحهم آذانًا موسيقية، فلا تهتموا بالغناء، بل بتمييزهم للإيقاعات. إن الموسيقار العبقري "عارف ساع" يدين بجزءٍ كبيرٍ من موهبته لإيقاع الطواحين المائية في قريته، وهو صغير.

وهناك أبي. كان لديه أسلوب متميز في التعامل مع الكلمات. كانت تنساب من فمه كالشعر. لم ندرك، إلا حين كبرنا، أنها ليست شعراً، بل كلمات فاحشة. كان - ولا يزال - رجلاً يحمل حساً فُكاهياً عالياً، وحصيلة لُغوية غنية من الكلمات البديئة. هناك بعض الأشخاص الذين تناسبهم هذه اللغة، وحين تسمعها منهم لا تشعر بالانزعاج مُطلقاً. هكذا هو الحال مع أبي. حين يطلق سبابه وشتائه، تشعر بأنك تسمع شعراً رقيقاً. في أحد الأيام، زارنا أحد أصدقائه في العمل. انزعج الرجل للغاية، وشعر بالإهانة، حين لم ينطق أبي بكلمة فاحشة واحدة. سأله مضطرباً:

- ما بالك يا "طاهر"؟ هل ارتكبتُ فعلاً ضايقك؟

- ما هذا الكلام أيها الحقيير الغبي؟

عندها فقط، أحسّ صديقه بالارتياح.

حسنًا، ها قد أطلعتكم على نشأتي ذات الجوانب الثقافية، إلى أن وصلتُ إلى سنِّ المدرسة.

كانت مدرستي الابتدائية في مدينة "ديار بكر". كنتُ تلميذًا مجتهدًا. درجاتي جيدة. بل جيدة جدًا. لكنني - مع ذلك - لم أكن الأول. احتلَّ "باهر" هذا المركز بجدارة. كان أكثر زملائنا اجتهادًا، وصاحب أعلى الدرجات على الإطلاق. كنتُ أحقق المركز الثاني. "باهر" مهذب، ونظيف، وله مظهر مُنمَّق. تميَّز خطُّه بالجمال. اختصارًا، كان "باهر" طفلًا مثاليًا. كنتُ جيّدًا، ولكن لا يمكن مقارنتي به. كان لديّ عديد من الأصدقاء في المدرسة. لم يكن لـ"باهر" صديق غيري. انتقلت عائلته من مدينة أخرى إلى "ديار بكر". هذا ما أتذكُّره، على الأقل. لم يكن باستطاعة أحد إيداؤه على أيِّ نحو، لأنني لم أكن لأسمح بذلك. ضمتَّ المدرسة عصابة من المشاغبين الصغار، وكنتُ رئيسها (لم يكن نظام الرئاسة المشتركة قد ظهر بعد، حينها، بطبيعة الحال). على كل حال، سرعان ما تبين لنا

أنا لسنا الأقوى، فقد قابلنا مُشاغبين أكثر شراسة. ها أنا أخرج عن الموضوع، ثانيةً.



لم أعد أتذكّر الكثير عن "باهر". مع ذلك، موقفٌ واحدٌ لا يُبَارح ذاكرتي، حدث مرّةً عقب انتهاء اليوم الدراسي. كُنَّا نسيرُ معًا مُتَّجهين إلى بيوتنا، نُصارع الجوع والإرهاق، في الأزقة والشوارع الضيقة. صاح "باهر" بغتةً:

- الله! بسطرمة! هل تشمُّها؟

- أشمُّ ماذا؟

- بسطرمة.. بسطرمة!

- وما البسترمة أساسًا؟

- تعرفها! البسترمة! ذلك اللحم..

- أيُّ لحم؟

- ذلك النوع المليء بالتوابل. إنها شرائح رفيعة.

ضحكتُ، وأجبتهُ:

- ما الذي تعنيه بـ"بسطرمة"؟ لا بدَّ أنك تقصد الرِّيش. لا تكن غيبياً!

لا يوجد شيء اسمه "بسطرمة" أصلاً!

طوال طريقنا إلى البيت، رحْتُ أسخر منه. عليَّ أن أذكر أنه لم يُظهر أي انزعاج أو غضب. لم أكن قد سمعت بكلمة "بسطرمة" من قبل، أبداً، ولا رأيتها طبعاً. حين وصلتُ المنزل، قصصْتُ الحكاية بأكملها على أمي (عازفة البيانو، كما تعلمون)، وأنا مُستغرق في الضحك. قالت لي:

- هناك لحمٌ اسمه "بسطرمة" بالفعل، يا بُنيَّ. إنه مُتَبَّل، ويقدم

كشرائح رفيعة للغاية.

توقَّفتُ ضحكاتي على الفور. سامحني يا "باهر". لم أخبرك بتأكيد
أمي لكلامك.

أمًا ما سأحكيه الآن، فقد حدث بعد مرور شهرين تقريبًا على
وجودي في السَّجن. في إحدى الليالي، استيقظتُ فَرَعًا. في حلمي، كان
"باهر" يقول لي:

- البسطرمة. لا تنسَ البسطرمة.

لم أصدِّق ما رأيته، ولم أستطع تحديد ما إذا كنتُ قد استيقظت أم
إن كنتُ لا أزال أحلم. بعد خمس وثلاثين سنة، وفي زنزانتني ذات
الحراسة المشدَّدة، يزورني "باهر" في حلمي، ليذكِّرنني بشيء. كان كما
أتذكِّره في طفولتنا، بالضبط. كما تعرفون، أعزَّائي أعضاء اللجنة، فإننا
نعدُّ قائمة أسبوعية بطلباتنا من الأطعمة، نسلمها للكافيتيريا. ذلك
الأسبوع، كنتُ أنا و"عبد الله زيدان" ننوي مكافأة أنفسنا بشيءٍ
مختلف، ولذلك قرَّرنا طلب بسطرمة. غادرتُ فراشي، ونزلتُ إلى

الطابق السفلي لتأكّد من محتويات القائمة المثبتة على لوح. كُنّا قد
نسينا كتابة البسّطمة. شكرت "باهر"، وأضفتها.

في تلك الليلة، انتابني حزنٌ هائلٌ، للمرّة الأولى والوحيدة، منذ
دخولي السّجن. انقطعت علاقتي بـ"باهر" عقب انتهاء المرحلة
الابتدائية، ولذلك فإنه بقيَ في ذاكرتي طفلاً صغيراً. في أحد الأيام، منذ
نحو عشر سنوات تقريباً، كنتُ أتصفّح الجريدة، عندما رأيتُ العنوان
التالي: "انتحار أستاذ في جامعة دجلة". تحته بالضبط، صورة غير واضحة
مأخوذة من بطاقة شخصية. لم أهتمّ بقراءة الخبر، وواصلت تصفّح
الجريدة. شيءٌ ما دفعني للعودة لذلك الخبر. لم أصدّق عينيّ. مستحيل
أن يكون "باهر". حاولتُ إقناع نفسي بأنه مُجرّد شخص يحمل الاسم
نفسه. لكنها صورته، في حقيقة الأمر. عاهدتُ نفسي على البحث عن
عائلته، لتقديم التعازي لهم. سيطر عليّ الأمر لوقتٍ طويل، لكنني
فشلتُ في العثور عليهم. "باهر" هو الذي عثر عليّ، عقب كل
تلك السنوات. جاءني في الحلم، حريصاً على زيارتي. سامحني يا

"باهر". رحمك الله يا صديقي العزيز. كنت دائماً الأول في كل شيء،
وستظل تحتل مكانة عالية في قلبي إلى الأبد. لم تسنح لي الفرصة
لمصارحتك بهذا، أبداً.

أعزائي أعضاء اللجنة:

لست متأكدًا كيف تورطت في هذه الحكاية، لكنها بين أيديكم الآن.
وكما ذكرت سابقًا، فإن أصدقائي يواصلون الإلحاح عليّ بكتابة قصة أخرى
من داخل السجن. أصررت بدوري على الرفض، فلن يكون تصرُّفي مُنصفًا
حيال لجننتكم إن فعلتُ، فأنا - في نهاية الأمر - أحملُ احترامًا وإجلالًا
للعمل والعَمال. أردتكم فقط أن تعرفوا هذا الأمر. أرجو لكم يوم عمل
سعيدًا، وأتمنى لكم تحقيق أعظم النجاح في وظيفتكم.

خالص مودتي..

7

عروس البحر



اسمي "مينا". أنا بنتٌ من "حماة" في "سوريا". غادرنا بلدنا منذ شهرين. أمسكتُ ماما يدي طوال الوقت، ولم تُفلتها أبدًا. في بعض الأحيان، مشينا؛ وفي بعضها الآخر، ركبنا باصات مُزدحمة أو شاحنات مُتربة. كانت الشوارع مليئة بالحُفَر، ما جعلنا نتقافز في أماكننا. لكن ماما لا تترك يدي. في الباصات، كان الناس يتكلَّمون باستمرار. بعضهم كانوا يبكون. كثيرًا. حسنًا، أنا أيضًا بكيتُ. قتلوا بابا في "حماة". لا أدري لماذا. بكت ماما حينها، كثيرًا. وأنا أيضًا بكيتُ.

إننا نسافر على الطريق منذ وقتٍ طويلٍ. مرّة، مات طفلان. مات رجل عجوز أيضًا. حفر الرجال لهم قبورًا على جانب الطريق. قبور الأطفال كانت صغيرة. ارتمت والدتا الطفلين على القبرين، وراحتا تبكيان. كثيرًا. عندما حان وقت المغادرة، رفضتا القدوم معنا، لكن الرجال قاموا بجرّهما. قالوا لهما إننا يجب أن نواصل الرّحلة.

توقَّفنا في مكانٍ ما. شعر الجميع ببعض الحماس. قال بعض الرجال إنه عندما يحلُّ الظلام، سننَّجه إلى الشاطئ، ونركب في مركب. قالوا لماما إنها لن تستطيع أن تأتي. توَسَّلت إليهم. ثم أخرجتُ ثلاث أساور من تحت قميصها، وأعطتها لهم. ثم قال الرجال: "أوكيه.. تعالي معنا".

لا يوجد بحر في قريتنا. لم أرَ البحر من قبل. ولا ماما. كان ظلامًا عندما ذهبنا للشاطئ، لذلك لم نَرَ البحر هذه المرَّة أيضًا. وضَعنا الرجال داخل مركب. كُنَّا كثيرين. ماما أمسكت بي، ولم تدعني أفلت منها. طلب منا الرجال أن نمسك جانب المركب بقوة. أمسكت ماما بي بقوة أكبر. تأرجح المركب كثيرًا. كان ظلامًا، فلم أرَ البحر. ضربني الماء المالح في وجهي. جعلني ذلك أتقيأ. النساء العجائز كُنَّ يُرددن الأدعية. ماما أيضًا. قالت لي ألا أخاف. قالت إن الرِّحلة لن تطول، وأنا سنصل سريعًا. لم أكن خائفة. دخل الملح في عيوننا، وجعلها تدمع. أنا بكيْتُ

قليلاً. قال الرجال إن البحر هائج اليوم. كانوا يصيحون طوال الوقت.
صرخوا لكي نمسك بالمركب جيّداً. ثم انقلب المركب.

ليس هناك بحر في قريتي. لدينا جدول صغير، تسبح فيه الأسماك
بسُرعة. لم يكن الجدول صغيراً جداً. كان كبيراً بعض الشيء. هناك
أشجار فوق الجدول. مرّة، صنع لي بابا أرجوحة في إحدى تلك الأشجار،
بجوار الجدول. صنعت لي ماما مرّة دُميمة من جوارب قديمة، لكنني
نسيتهما في الباص. كان بيتنا حلواً.

سقطنا جميعاً في البحر. أمسكت بي ماما بقوة. ليس لدينا بحر في
قريتنا، لذلك لا يعرف أحد منّا السباحة. حتى ماما لا تعرف. بدأتُ
أغوص في الماء مع ماما. ثم طفونا للأعلى قليلاً. ثم غطّتنا أجساد
الرجال، فعُدنا للأسفل من جديد. ماما لم تدع يدي. أمسكتني بقوة.
الملح في الماء جعل حلقي يحرقني. ماما أمسكت بي، وأنا كنتُ أقول

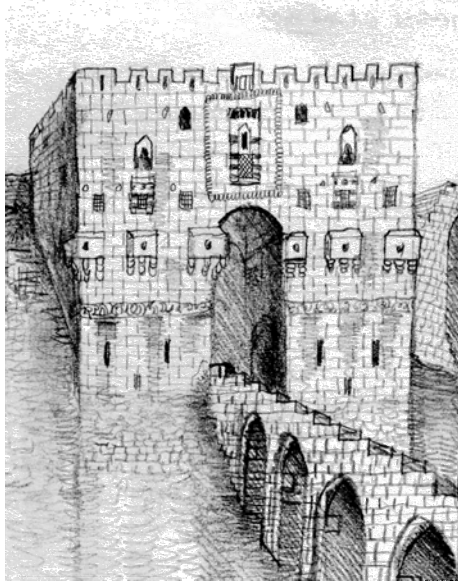
لها في رأسي: "لا تخافي". أردتُ أن أبكي. قليلاً فقط. ماما لم تخف. ظلت
تنظر إلى عينيّ طوال الوقت. لم نخرج من البحر أبداً.

اسمي "مينا". عمري خمس سنوات. تركنا "حماة" منذ شهرين. لم نَرَ
شكل البحر من الخارج. أنا في قاع البحر منذ أسبوع، والآن صرْتُ
عروس بحر حقيقية. البحر الأبيض الكبير هو أمي، لأنه يضمني إليه
بقوّة، ويمسكني ولا يفلتني أبداً. كل الأمهات يحببن بناتهنّ الصغيرات
بتلك الطريقة.



8

حلب المهروسة



- يبدو أنني كُنْتُ مُخْطِئًا، فالحياة في الواقع طويلةٌ جدًّا..

هل هناك شيءٌ غريبٌ وغير مألوف في كل ما حدث؟ لا أظنُّ ذلك. إنه مُجَرَّد يومٍ آخر في الشرق الأوسط. انفجار قنبلة، أو سُترة مُفَخَّخة، في مكانٍ ما، مُخَلَّفَةٌ وراءها عشرات الأجساد الجريحة والمُشَوَّهة، وأسواقًا مُحطَّمة في أحياء فقيرة.

عدد القتلى: 68. بالحروف: ثمانية وستون.

أما الانفجار الذي حدث منذ ثلاثة أيام، فقد خَلَّفَ 43 قتيلًا. ربَّما كان الموت أمرًا يوميًّا عاديًّا، لكننا نحنُ الذين نُعْطيه أهمية أكبر من حجمه الحقيقي. أعني أن الناس تموت طوال الوقت، بل وفي قطعان كبيرة العدد. تباينَ تأثير الانفجار الذي حدث في "حلب" اليوم، من مكانٍ لآخر، ففي "سديني" كان الأستراليون يلتقون بعضهم على موائد العشاء في المطاعم؛ أما الكنديون الذين كانوا يُسارعون للوصول إلى وظائفهم، فلم يكن النبأ قد بلغهم بعد. سيعرفونه بعد قليل، لكنَّ

اهتمامهم به لن يتجاوز قراءة العنوان، دون السعي لمعرفة تفاصيل الخبر. في نهاية الأمر، هو مجرد انفجار جديد. بالنسبة لنا، "خطاي" هي الأقرب لـ "حلب". قريبة جدًا في الواقع، لدرجة أنه لو أصغى ناسها ببعض التركيز، لسمعوا الانفجار بأذانهم.

تشتهر "خطاي" بالمرّة والمقبّلات، وبالتنوّع الهائل في أطباقها، الذي استقته من الثقافات المختلفة التي تركت بصمتها على المحافظة. خلال العصور المختلفة للتاريخ، حافظ السُّكَّان المحليُّون على كل وصفات الطعام والشراب التي أتى بها العرب، والأرمن، والسريان، والترکمان، والفُرس، والإغريق، في حال احتاجوا إليها يومًا ما. وكما تبين لاحقًا، فقد احتاجوا إليها بالفعل، وبشكلٍ يوميٍّ أيضًا. كل من زار "خطاي" دون تذوّق أطباقها الشهيرة، فاته الكثير.

68 قتيلاً.

لعرب "خطاي" طبق خاص يُعرَف بـ"كباب العرب". إنه ليس طعامًا، بل فنٌّ وإبداعٌ حقيقيان. عليك أن تجربَه في محل الأسطى "حمد الله". إنه كافيتيريا للعَمال، في حقيقة الأمر، داخل السوق القديم. يبدو الأسطى "حمد الله" كشخصية داخل رواية. إنه نموذج لأصحاب المشاريع الصغيرة. مع نجاح مشروعه، بدأ المحل يستقطب السُّيَّاح أيضًا. أثار ذلك بعض القلق في نفس الأسطى، فاشترى نحو ستِّ شجرات بلاستيكية وزَّعها في أركان مطعمه الصغير، في محاولةٍ منه لتجميل المكان. في الحقيقة، كانت تلك فكرة "صدر الدين" الحلاق، الذي يقع محلُّه في الجهة المقابلة من الشارع. قال له:

- عليك أن تغَيِّرَ مظهر مطعمك يا أخي، فقد بدأ السُّيَّاح بالتَرَدُّدِ على شارعنا. إن قُمنا بتجميل المكان، فسوف يتوافدون علينا بأعدادٍ أكبر فأكبر.

وجد الأسطى "حمد الله" الكلام منطقيًا ومُقتنعًا. هذا هو سبب وجود الأشجار البلاستيكية في المكان. لا يزال الطعام مثلما كان على الدوام، لكن صار بإمكانك الآن تناوله وسط غابة اصطناعية. المشكلة فقط هي أن الأشجار قبيحة للغاية، ومصنوعة من أردأ وأرخص أنواع البلاستيك، كما أنها مغطاة بطبقات كثيفة من الغبار. لقد تغيّر المظهر فعلاً، كما اقترح الحلاق، ولكن للأسوأ. ذلك غير مهم، على كل حال، فالأطباق المُقدّمة شهية للغاية.

68 قتيلاً.

للمطعم نادلاً واحد فقط. ابن شقيق الأسطى "حمد الله". بإمكانه خدمة الطاولات السبع معاً، في الوقت نفسه، بسهولة ويُسر. بدأ العمل في المكان طفلاً، منذ تسع عشرة سنة. اسمه "بركة". لـ"بركة" طفلان. ماتت زوجته في حادث مروري. حين أقول ذلك، فأنا لا أعني أنها كانت تقود سيارتها الـ"سبور" بسرعة، واختلّت عجلة القيادة في

يدها، ما أدّى إلى انقلاب السيارة؛ وإنما أنها تعرّضت للدّهس من باص نقل عامٍّ، وماتت على الفور. ذلك النوع من الموت الرخيص المُخصَّص للمواطنين من الدرجة الثانية. "بركة" عاملٌ مُتفانٍ، يُمارس جميع مهامه بحماسٍ بالغٍ، ويضع الأطباق أمام الزبائن بطريقةٍ فنيّةٍ. يستمتع بإسعاد الزبائن، ويلاحظ ردود أفعالهم بدقّة. لا تفوته حتى لمعة أعينهم عند إحساسهم بالرضا. لن تشعر بخيبة أمل أبداً، أيّاً كان ما اخترته من قائمة الطعام، لأن اللحم هنا رائع حقّاً.

68 قتيلاً. جثثٌ مُشوّهة.

المطعم رخيص لدرجة تُثير الدهشة. ذهبْتُ هناك مع اثنين من أصدقائي. تناولنا كثيراً من الطعام، حدّ التُّخمة، وحين جاءت الفاتورة ظننّا أن هناك خطأ في الحساب. كان ذلك هو التفسير الوحيد لصغر المبلغ المطلوب، لكنّ أكثر ما أثار دهشتي في المكان هو قُدرة الأسطى "حمد الله" على المحافظة على هدوئه، طوال الوقت،

مهما ازدحم المطعم. يقف في مكانه وراء منضدة مُرتفعة، يملأ الأطباق بالطعام ويناولها لـ"بَرَكة"، بهدوء وثبات. كَرَّرْتُ زيارتي لمطعم الأسطى "حمد الله" ثلاث مرَّات في أسبوعٍ واحدٍ، وفي كل مرَّةٍ يستقبلني الهدوء ذاته.

تعود أصول عائلة الأسطى "حمد الله" إلى مدينة "حلب". انتقل جدُّه إلى "خطاي"، منذ نحو ستين عامًا، جالبًا أسرته معه. كل مَنْ بالمدينة هنا يعرفهم جيِّدًا. توارثت العائلة المطعم، جيلاً بعد آخر. لا يزال أعمام الأسطى "حمد الله" يمتلكون دكاكين لبيع المنسوجات في السوق القديم بـ"حلب". قبل الحرب، اعتاد أفراد العائلة في البلدين تبادل الزيارات. حين اندلعت الحرب، فرَّ أقاربه من "حلب" - مثل الكثير غيرهم - وأتوا إلى "خطاي". نصب الأسطى "حمد الله" خيمة في حديقة بيته ذي الطابقين، وانتقل أفراد عائلته الـ47 إلى مسكنه. اضطر "حمد الله" إلى أن يطلب من مستأجر الطابق السُّفلي المُغادرة، لإفساح مساحة أوسع قليلاً لأقاربه. لم يتزوَّج الأسطى أبداً. في صباه، كان والده

يصطحبه معه إلى "حلب". هناك، التقى ابنة عمه "رُقِيَّة"، وأغرم بها بجنون. حين زوّجتها أسرتها وهي في السادسة عشرة، أصيب بإحباط شديد، وتفوق على نفسه. لم يُحِب أي امرأة أخرى بعدها. والآن، تُقيم "رُقِيَّة" مع زوجها وابنيها في إحدى حجرات الطابق السُّفلي في بيته. كل صباح، يعمد "حمد الله" للمُسارعة بالخروج من منزله، مُتَجَنِّبًا لقاءها. الحقيقة، إن "رُقِيَّة" بدورها لا تزال تُكِنُّ له مشاعر خاصّة، لكنّ الوقت قد فات. لا تزال جميلة، وهو ما يجعله لا يقوى على النظر إليها. إن التقى بها، عند مرورهما بالصدفة أمام أحدهما الآخر كل بضعة أيام، فإنه لا يستطيع تحويل نظراته عنها. باتّ الأسطى "حمد الله" يشعر بالتؤثر، وكأنهما يُحطِّطان بِسِرِّيَّة للهروب معًا، وترك العالم وراءهما، بكل ما فيه ومَن فيه.

68 قتيلاً. اللعنة!

لهذا السبب تحديداً، صار الأسطى "حمد الله" يتحاشى الوجود في منزله، إلا لساعاتٍ قليلة، ويتعمد التسلُّ إليه في ساعةٍ متأخرةٍ من الليل، عقب نوم الجميع. إنه يخشى أن يقرأ أحد أفكاره، ويعرف أن مشاعره تجاه "رُقِيَّة" قد اشتعلت من جديد. امتنع تمامًا عن الحديث إلى "بَرَكة"، وكان كلامهما معًا قليلاً جدًّا في الأساس.

في الوقت الذي رغب فيه ألا يُلاحظ أحد عواطفه الجياشة تجاه المرأة التي تقطن الحجرة السفلية، تمنى لو طالت النظرات بينهما. تلك النظرات التي تزور مُخَيَّلته كل ليلة، قبل أن تنتشله من عالمه الصامت وترسله إلى النوم. فشل في تحديد ما إذا كانت معرفته بأن أنفاسها تتردَّد في خلية النحل هذه التي يعيشون فيها، هي مصدر راحة له، أم مصدر تعذيب؟ هناك إجابةً واحدةً فقط لهذا السؤال.. "القناعة كَنْزٌ لا يفنى". ها هما الآن، عقب كل تلك السنوات، يظللهما سقْفٌ واحد. في مثل هذه الحالات، تبوء كل محاولتك لإسكات طائر الأمل الذي يشدو فوق سطح بيتك، بالفشل. يُمكنك أن تهشَّ ذلك

الطائر نهارًا، لكن ما إن يُقبِل الليل، وتخلد إلى فراشك، وتُغمض عينيك، حتى يملأ الدنيا بتغريده. حتى النوم ليس حلًّا. في حلمك، يُمسي الطائر أكثر جرأة، بل أكثر وقاحة. الأسوأ من كل ذلك هو استيقاظك صباحًا لتكتشف بأن عليك بدء يوم جديد، بكل تفاصيله. سوف يتمهل اليوم في ارتداء ثيابه، ربما عندما يتأخر قليلاً.. سوف.. كلاً! لا يمكنه حتى مجرد التفكير في ذلك.

السوق في "حلب" يبدو كمشهدٍ تمَّ تثبيت الصورة عليه، في فيلم سينمائي. لا بضائع في الدكاكين، سوى اليأس. منذ بدء الحرب، فقدت الأسواق بهجتها، وألوانها وروائحها. لم يعد الناس يترددون عليها إلا للضرورة، لشراء أو بيع كميات ضئيلة من الأطعمة. صارت أجواؤها تذكّر بكآبة المستشفيات.

68 جُنَّة مُشَوَّهَةٌ.

"رُقِيَّة" من بينهم. قبل ذلك بيومين، تركت ابنيها في "خطاي"،
وغادرت مع زوجها إلى "حلب" لإحضار مزيد من حاجاتهما، من بيتهما
هناك. توجَّهًا إلى السوق لشراء طعام العشاء. على فكرة، هل تعلمون
أن "خطاي" تشتهر أيضًا بالكُنافة؟

هتف القاتل الانتحاري، في قلب السوق:

- الله أكبر!

بينما كان جسمُ "رُقِيَّة" يتفتَّت إلى أشلاء، في سوق "حلب"، كان
الأسطى "حمد الله" يُؤدِّي صلاته على سجادة الصلاة الخوص في
الجانب الخلفي لمطعمه في "خطاي". رفع ظهره من السجود، وقال:

- الله أكبر.

في تلك اللحظة، شعر بألمٍ في صدره. فكَرَّ بأسى:

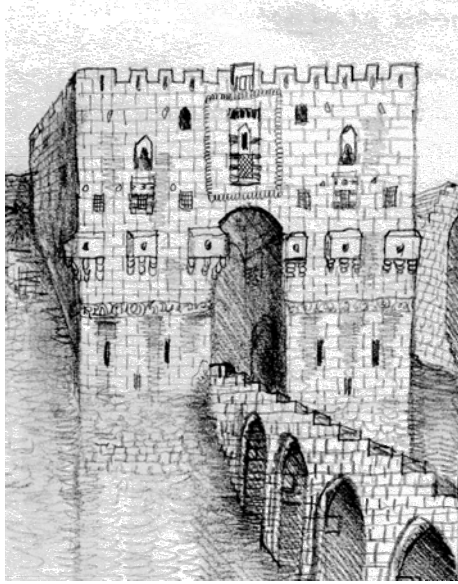
- بدأتُ أشيخ.

الجُبْن هو الذي يُضفي المذاق الرَّائِع على الكُنَافَة. لـ "خطاي" طُرُقُهَا
الخاصَّة في إعداد هذه الحلوى. عندما يطلبها الزَّبائن، يُحضِرُهَا الأُسْطَى
"حمد الله" من محل الأُسْطَى "جميل" الكنفاني. يبرع "حمد الله" في
صُنْعِهَا بمهارة، لكنه تَوَقَّفَ عن ذلك ما إن افتتح الأُسْطَى "جميل"
دُكَّانَهُ. السوق يسع الجميع، ولذلك لم يكن من اللائِق أن يُنافس جاره.
على كل حال، إن أردتم تجربة أفضل كُنَافَة على الإطلاق، فعليكم
بزيارة "كنفاني خطاي" في "السوق الطويل".

بعد بحث دقيق بين الأشلاء الممتطيرة، نجح زوج "رُقِيَّة" في ملزمة
بعض أجزاء جسدها، التي تعرَّف إليها بفضل التصاق نُتْفٍ من
فستانها بها. لم يستطع الأُسْطَى "حمد الله" تحمُّل حضور الجنازة،
ولا زيارة قبرها فيما بعد. مساء اليوم التالي لدفنها، أقفل باب المطعم،
وأخرج جميع الأدوية التي يحتفظ بها فيه. ابتلع كل قرص عثر عليه،
ثم شرب زجاجة من دواء الكَحَّة. تمَّ إغلاق المطعم لثلاثة أيام، حدادًا
على روح صاحبه. يُدير "بَرَكة" المكان الآن، بينما يعمل "جمعة" -

زوج "رُقِيَّة" - نادلاً لديه، ويتولَّى ابناها تأدية مهام النظافة. يمكن رؤية الأربعة وهم يُمارسون عملهم بنشاط، في أي وقت. إذا وجدت نفسك في المنطقة، فمُ بزيارة مطعم الأسطى "بَرَكة"، واحرص على تناول طعامك هناك، إذ لا يوجد ما هو ألدُّ من "كباب العرب".

إن أطباق "خطاي" هي الأقدم في العالم، على كل حال.



9

انظري ماذا فعلتِ يا "آسومان"!



أيقظتني الحركة المفاجئة للباص. كُنْتُ أجلس في الصفِّ الثاني وراء السائق. كانت الساعة الثانية صباحًا، وقد نام أغلب الركَّاب. كنا نصعدُ تَلًّا ببطءٍ، وأمامنا شاحنة. أغمضتُ عينيَّ، أملًا أن أعاود النوم. فتَّحتهما، بعد بضع دقائق، لأكتشف أننا لا نزال نسير بالبطء نفسه، ونحافظ على مسافة المتريين ذاتها التي تفصلنا عن الشاحنة. تجاوزتنا السيارات الأخرى، ومَرَّت مُسرِّعة، بينما استكان سائقنا للهدوء، وبدا راضيًا ومستمتعًا بقيادته على هذا النحو. قُمتُ من مكاني، مُتَّجِهًا إلى مقدمة الباص. اقتربتُ من أذن السائق، وسألته:

- لمَ لا نزال وراء هذه الشاحنة، يا أسطى؟ ما الأمر؟

نظر إليَّ عبر المرآة الصغيرة أمامه، وأجابني:

- لا شيء على الإطلاق. إننا نتنزّه، ونتأمَّل المناظر البديعة حولنا. هل

لديك مشكلة في ذلك؟

- كلاً. كنتُ أتساءل فقط، لكن انظر لكل هذه السيارات التي

تتجاوزنا، و...

قاطعني قائلاً:

- استرح..

أوماً برأسه تجاه مقعد المضيف، الذي يقع بجواره. ترددتُ. سألني:

- هل أنت طالبٌ يا بُنيّ؟

قُلْتُ وأنا أجلس على المقعد الذي أشار إليه:

- نعم. كلية الحقوق بجامعة "أنقرة".

- جميل! كلية جيّدة.

قُلْتُ وأنا أحاول كتم إحساسي بالزّهو:

- نعم. لا بأس بها.

حرّك السائق رأسه من جديد، مُشيرًا إلى الأمام:

- انظر يا بُنَيَّ! هل ترى ذلك؟

كان من المستحيل عدم رؤية الشاحنة العملاقة أمامنا. وجَّهني قائلاً:

- انظر جيِّدًا!

أضاف:

- ماذا ترى؟

- ماذا تعني؟

- المرأة!

نظرتُ ثانيةً. رأيتُ صورتين لامرأة على مُؤخِّرة الشاحنة. للدقَّة، كانتا صورتين مُتماثلتين، ولكن من زاويتين مُتقابلتين. صُوِّرَ من النوع الذي تراه على جميع الشاحنات تقريبًا. سألته:

- ما بها المرأة؟

- إنها "آسومان"!

- اسمها "آسومان"؟

تنهّد قائلاً:

- نعم. أنا أعرف هذه المرأة. في الحقيقة، أنا أعرفها جيّداً.

ابتسمتُ، وأجبتُه:

- حسناً. إن هذه الصُورُ مُنتشرة على جميع الشاحنات أصلاً!

- صحيح، ولكن هناك صور عديدة مُختلفة. ليست جميعها

لـ "آسومان".

قُلْتُ بلا مُبالاة:

- ربّما. لم تستوقفني المسألة من قبل.

- ولا أنا. صدّقني. إلى أن التقيتُ "آسومان".

صحتُ بدهشة:

- هل تعني أنك تعرف هذه المرأة حقّاً؟

- نعم. طبعًا. لقد تقابلنا في أحد بارات "إسطنبول"، منذ ستّة أعوام.

- هل أنت جادٌ؟ لا بدّ أنك تمزح!

رمقني بنظرةٍ طويلةٍ، ثم تناول علبة سجائره الـ"بارليمنتس" ومدّها

نحوي. تردّدت في بادئ الأمر. قال مُشجّعًا:

- خذ واحدة. هيّا!

أطعته. أخرج واحدةً لنفسه أيضًا، دسّ طرفها في زاوية فمه. كان منتصف شاربه قد استحال لّلون البُنّي، بسبب سنوات تدخينه الطويلة. أشعل سيجارته أوّلًا، ثم ناولني الولّاعة. استنشقت نفسًا طويلًا، اندفع من بعده دخان كثيف من فتحتي أنفه، وانتشر في الباص. فتح نافذته قليلًا، وقلمل في مقعده، إلى أن استقرّ على وضعٍ مُريح. كان يتأهّب لقصّ حكايته مع "آسومان"، دون شك. أسندت ظهري إلى المقعد، مُحاولًا أن أرسم الاهتمام على ملامحي. لأسمعه إذن، طالما أنني لن أستطيع معاودة النوم.

- كلما استدعى الأمر ذهابي إلى "إسطنبول"، كنتُ أمضي بعض الليالي هناك في البارات.

أخذ نَفَسًا طويلاً من سيجارته، وهو لا يزال يُحدِّق في صورة "آسومان". واصل حديثه قائلاً:

- التقيتها للمرّة الأولى في أحد بارات "أك سراي". كانت تُغني هناك. كم كان صوتها عذباً! لن تصدّقني، لكنني أوكد لك بأنه حُبٌّ من أوّل نظرة. تمامًا كما في الأفلام. لم أستطع تحويل عينيّ عنها. نجحتُ في أن ألفت نظرها. على كل حال، سوف أختصر الحكاية. ذهبتُ إليها لاحقاً، وعرفتها بنفسِي. قالت إن اسمها هو "آسومان"، ثم صافحتني. أحسستُ حينها بأنني أقبض على جمرةٍ من نار. اشتعل كل جسدي. قُلْتُ لنفسِي: "فِهري، لقد أوقعت نفسك في مصيبة!".

واصل حديثه، قائلاً:

- لن يفهمك أحد، أبدًا، قدر فهمك أنت لنفسك. أليس كذلك؟
خفتُ ممّا أنا مُقبِلٌ عليه. طلبتُ منها أن تُعادر البار، فاقترحتُ أن أعود
في اليوم التالي، لكنني أخبرتها بأنني سأكون مُسافرًا على الطريق.
سألتنني إن كنتُ سائق شاحنة، فقلتُ لها إنني سائق باص. سألتني عن
وجهتي. قُلْتُ لها "ديار بكر". علّقتُ بالقول: "لا بأس. المرّة المُقبلة إِدًا
يا أسطى". لم أشأ أن ألحَّ عليها. بعد أسبوع تقريبًا، كُلفتُ برحلة إلى
"إسطنبول". لا أدري كيف وصلتُ إلى هناك أصلًا! كنتُ أسير على
السحاب، وقلبي مشتعل بالنيران.

استنشقتُ نَفَسًا جديدًا، ثم أطلق من فمه كمية هائلة من الدخان
غَطَّت كامل رأسه. مدَّ إصبعه الصغيرة، باليد ذاتها التي تحمل
السيجارة، وحركها داخل أذنه، يُنظِّفها. استطرد بعدها قائلاً:

- على كل حال، عُدْتُ إلى البار، وهذه المرّة غادرتُه وهي معي.
وقفنا لتتناول بعض الشورية في الطريق. أحسنا بألفةٍ مُتبادلةٍ،

وتحدَّثنا لساعات وساعات، وأفضى كل واحد منَّا بهومومه للآخر. انتهى الأمر بأن بُتُّ في منزلها تلك الليلة. كان عليَّ أن أُغادر إلى "ديار بكر" ظهيرة اليوم التالي. على كل حال، سأختصر لك الحكاية. دامت الأمور بيننا على ذلك النحو، لعامٍ كاملٍ. كلَّما زرتُ "إسطنبول"، أقمتُ معها. في النهاية، طلبتُ منها أن تأتي معي إلى "ديار بكر". قُلْتُ لها: "سأستأجر لكِ شقَّة. بإمكانكِ ترك العمل إن أردتِ". كانت تلك كلماتي لها بالضبط..

قاطعته:

- ما هذا الكلام يا أسطى؟ يبدو كحوارٍ لَزَجٍ في مسلسل تركي عاطفي!

هزَّ رأسه ببُطءٍ. ابتسم مُحاولاً إخفاء إحساسه بجرح مشاعره، وقال:

- لا بأس. لن أزعجك ببقية الحكاية إذًا.

بادرته بالاعتذار:

- لا.. أنا آسف. كُنْتُ أقصد فقط أن ما مررتَ به يُشبهه المسلسلات.

- صدّقني يا بُنَيَّ، هكذا كانت حكايتنا بالضبط.

أمسك بالميكروفون، وقام بالنداء على المُضيف. أتانا الرجل يجرُّ قدميه جرًّا، وهو يُغالب النُّعاس. قال له السائق:

- أحضر لنا كوبين من القهوة القوية.

أردف أمرًا:

- ولا تنم خلال ساعات العمل. اذهب وألقِ نظرة على الرُّكَّاب.

أحضرَ لنا القهوة على الفور. واصل السائق حديثه:

- على كل حال يا بُنَيَّ، دمَّرتُ بيتي من أجل "آسومان". هجرتُ زوجتي وأطفالي الثلاثة. استأجرتُ لها مسكنًا في "ديار بكر"، وأحضرتنا مآذونًا عقد قراننا. تمَّ كل شيء في إطار ديني صحيح. لم أطلق زوجتي الأولى، ويشهد الله أنني حرصتُ على رعايتها، وإرسال المال لها شهريًّا، كنوعٍ من النِّفقة مثلًا. على كل حال، لن أضجرك بتلك التفاصيل. أقول لك فقط إن التجربة لم تستطع الصمود في

نهاية الأمر. هجرتني "آسومان"، واختفت. عُدْتُ إلى البيتِ يومًا، فوجدته خاويًا. أخذتُ كل شيءٍ معها. تركت لي ورقة كتبتُ فيها: "أخذتُ الأثاث عوضًا عن النَّفقة. لا تُحاول البحث عني - آسومان". أمضيتُ تلك الليلة في فندق. صباح اليوم التالي، اشتريتُ باقةً من الورد، وحملتُها لزوجتي الأولى. قُلْتُ لنفسي: "زوجتي لا تحمل ضغينةً لأحد، أبدًا. وهي تتفهَّم مثل هذه الأمور". حين رأته، تناولت الورد من يدي، وراحت تضربني به على رأسي، وهي تلعن اليوم الذي وُلِدْتُ فيه. حسنًا، كي أكون مُنصفًا، كان معها كل الحقِّ، لكنني ظننتُ أنها مُجرَّد مسألة وقت إلى أن تهدأ، وأنها ستسامحني حتمًا، ولو بعد حين. لكنني كُنتُ مُخطئًا. أصرتُ على الطلاق منِّي. وبقيتُ وحيدًا، أعاني آثار حماقتي.

واصل النظر إلى الصورتين المُلصقتين على مُؤخِّرة الشاحنة، زفر بتنهيدهٍ حارَّة، أعقبها بالقول:

- انظري ماذا فعلتِ يا "آسومان"! لقد هدمتِ بيتي، ودمرتِ حياتي.

"آسومان" .. "آسومان" ..

التفت نحوي، قائلاً:

- هكذا هو الأمر إذن يا بُنيَّ. هذه هي حكاية "آسومان".

عاود النظر إلى صورتي الشاحنة، وقال:

- كانت تعمل ك"موديل"، بين الحين والآخر. هاتان الصورتان من

إحدى جلسات التصوير الاحترافية التي قامت بها. لديّ النُسخة

الأصلية، أساساً، لكنني حين أرى صُورها على السيارات والشاحنات، لا

أملك إلا أن أتبعها، لأطول وقتٍ ممكن. لِحُسن الحظِّ، لم تعد صورها

واسعة الانتشار، وإلا لما وصلتُ إلى وجهتي أبداً!

نظر نحوي، مُبتسماً بمرارة. قُلْتُ له:

- ولكن أليست القيادة بهذا الشكل خطيرة بعض الشيء يا أسطى؟
أعني أنك منغمس في قَصِّ تفاصيل الحكاية، وتُغمض عينيك بين الحين
والآخر وأنت تستعيد ذكرياتك..

- لا تقلق يا بُنيَّ. المسألة تحت السيطرة! ولكن حينما تحلم بشيء،
فإنك تُغمض عينيك، عادةً. بتلك الطريقة، يفشل الآخرون في رؤية
حلمك ومعرفته. إنك تُخبئ الحلم حتى عن نفسك. شخصيتك
الحقيقية هي الإنسان الذي تكونه في الحلم.

- ما الذي يسعني قوله يا أسطى؟ لقد عقد كلامك لسانِي!

كُنْتُ أودُّ أن أقول له:

- لم يبقَ إلا أن تضع أقوال "نيتشه" على لسان "أسومان" هذه!
"بعد أن اكتشفتني، لم يكن العثور عليَّ إنجازًا. المعضلة الآن هي كيف
تفقدني".

لكنني لم أقل ذلك، طبعًا، بل قُلْتُ ناصحًا:

- أنت سائق باص، وأرواح كل هؤلاء الناس بين يديك. عليك أن تتوخى الحذر، كي لا يتعرّض أحد لمكروه.

- بالطبع. هذا أمرٌ بديهي، لكنني في بعض الأحيان، أفكّر في أن هناك كثيراً من الوسائل التي تُؤدّي للموت.. يُمكن للإنسان أن يموت مُحترقاً أو غريقاً، أو أن يسقط من مكانٍ مُرتفع. يُمكن للموت أن يكون بطيئاً ومؤلماً، أو سريعاً كلمح البصر. قد تموت بطلاً، أو بلا هدف على الإطلاق. كل هذه الأمور تنطبق على الحياة أيضاً. غريب، أليس كذلك؟

- أنتَ نفسك غريب يا أسطى. لا أعني شيئاً سيئاً، بل أقصد أنك مُثير للاهتمام.

تمعّنتُ في صورة "آسومان"، على الشاحنة أمامنا. كانت مُستلقية على جانبها، وقد أسندت ذراعها إلى مخدّة، ووضعت يدها على خدّها، وهي تنظر إلى الكاميرا بإغراء، بوجهٍ يُغطّيه مكياج ثقيل. قُلْتُ لِنفسي:

- تلك الـ "آسومان" كائنٌ صعبٌ وعجيب!

انتبهتُ على ابتسامة السائق الماكرة. بادرني بالقول:

- أنت تدرس كي تُصبح مُحامياً، أليس كذلك؟

- هذه نيّتي..

- ما شاء الله! أنتَ عبقرى زمانك كما يبدو! كان الله فى عون مَنْ

يحتاج إلى خدماتك!

- ماذا تقصد يا أسطى؟

أجاب مُبتسماً:

- انظر يا بُنى. لا بدَّ أنك كُنْتَ نائماً حين أُصيب الباص بعُطل،

واضطُّررنا لربطه بالشاحنة التى أماننا، كي تصعد بنا الجبل. انظر إلى

المقدمة، وسوف ترى الحبل.

لم أرغب في تصديقه. ملتُ بجسدي قليلاً، وألقيتُ نظرة على مُقدِّمة الباص. أحسستُ بالهرج. هناك جبلٌ فعلاً. كانت "أسومان" هي التي تجرُّنا. تزايد شعوري بالهرج، وأردتُ أن أصرخ بغضب:

- أوقف هذا الباص الملعون! سأنزل هنا!

لكن الواقع أنه لم يكن هناك ما يُمكنني فعله. لقد ابتلعتُ طعم هذا المقلب. اتَّسعت ابتسامة السائق الساخرة، أو هكذا خيَّل إليَّ على الأقل. استدعى المُضيف، مرَّةً أخرى:

- رافق الولد حتى مقعده، واعطه بعض الكولونيا، علَّه يستعيد وعيه.

غمغمتُ بغیظ:

- برافو يا أسطى! جعلتني أصدِّق حكايتك.

عدتُ إلى مقعدي. تفاقم غیظي وحرَجِي، حين عاد إليَّ المُضيف ببعض الكولونيا فعلاً. سكب قطرات منها في كَفِّي، وقال بابتسامةٍ عريضة:

- لا بأس. ستتجاوز المسألة.

رفعتُ عينيَّ لأجد السائق ينظر إليَّ من خلال مرآته، بالابتسامة
الساخرة نفسها.

رغم مرور سنوات كثيرة، فإنني تعرّفتُ عليه فور رؤيتي له في
مكتبي. إنه الأسطى "فهري"، لا غير. رحّبتُ به بحرارة، وطلبتُ له كوبًا
من الشاي. غطّى اللون الرمادي شعره، أما شاربه الكُتُّ فقد أصبح
مصفرًّا. فقد شيئًا من وزنه، وتقوَّس ظهره قليلًا. لم يعرفني، لكنَّ ذلك
لم يدهشني، فقد مرَّ وقت طويل للغاية. على كل حال، لم يكن في
وضع يسمح له بتمييز الآخرين، فقد تعرَّض ابنه الطالب الجامعي
للاعتقال، عقب مُشاركته في إحدى المظاهرات. أمضى شهرين في
البحث عن مُحامٍ يقبل القضية، دون جدوى؛ إلى أن رشّحني له بعض
الأصدقاء. قُلْتُ له:

- حسنًا، دعني فقط ألقِ نظرةً على الملف. عُد غدًا لنناقش الأمر.

وقف وأمسك يدي مُمتنًا، ثم أحنى رأسه مُحييًّا، قبل أن يُغادر.
حيَّته أنا أيضًا بانحناءٍ من رأسي، وأوصلته إلى الباب. قبلتُ قضية ابنه.
أُطلق سراح الفتى بعد أربعة أشهر، وبرأته المحكمة. بعدها بمُدَّة
وجيزة، عاد "فهري" لزيارتي، مُصطحبًا ابنه هذه المرَّة. جاء يحملان لي
أزهارًا وشوكولاتة. سألني الأب مُعاتبًا:

- لم رفضت أن تأخذ أتعابك مني؟

أجبتُه:

- أنت لا تتذكَّرنِي، أليس كذلك؟

اعتلت وجهه الدَّهشة، ثم نظر إليَّ مُتفحِّصًا، مُحاولًا وضعي في خانة

مُعيَّنة. استسلم أخيرًا، وقال:

- أرجو المعذرة، ولكن أين تسنَّت لي معرفتك؟

- "أسومان" ..

تجمّد في مكانه، ذاهلاً. سرعان ما تحوّلت البسمة على شفّتيه إلى
ضحكات مُرتفعة. وقف واحتضنني بين ذراعيه:

- ياه! هل تتذكّر ما قُلْتُهُ لك يومها؟

- ما الذي قُلْتُهُ يا سيّد "فهري"؟

- ألم أخبرك بأنك ستُصبح رجلاً ذا شأن؟ وأن مَنْ يطلب منك التّرافُع
عن قضايا محظوظٌ للغاية؟ أليس ذلك ما قُلْتُهُ؟
- نعم.. نعم.. هذا ما حدث بالضبط يا عزيزي.

لاحت السعادة على ملامحه. ثرثرنا معاً لبعض الوقت، كصديقين
قديمين. التفت نحو ابنه، شارحاً:

- علاقتنا قديمة.

ثم قصّ عليه حكاية الباص، مُتجنّباً جميع التفاصيل المُحرّجة. وقفنا،
إيذاناً بالرحيل، فراقفئهما إلى الباب. بعد خروجهما، هتفتُ وراءه مُنادياً:

- سيّد "فهرى"!..

- نعم يا بُنيّ؟

تناولتُ زجاجة "كولونيا" من فوق مكتب السكرتيرة، وسكبتُ
القليل منها في كفه. قُلْتُ له مُذَكِّراً:

- لا بأس. ستتجاوز المسألة.

منحني ابتسامة دافئة، وقال:

- نعم.

أضاف:

- حان دوري لأردّ لك الجميل، ولكن كيف؟

سار مُبتعداً، وهو يهزُّ رأسه في حيرة.

10

تصفية حسابات



كنتُ في الثامنة، وشقيقي "نور الدين" في التاسعة. كان ذلك في 1981. سنةٌ صعبةٌ لنا نحن الاثنين، شهد فيها البلد انقلابًا عسكريًا عنيفًا. لم نفهم حينها معنى الحدث بالضبط. على كل حال يا أمي، ليس لكل هذا علاقة بما سوف أقوله لك الآن.

انتهى السُّكَّر من البيت. عادةً، كُنَّا نشتره بالكيلو من الدُّكَّان القريب، لكن ذلك كان غالبًا بعض الشيء، ولذلك قرَّرت أنتِ في ذلك اليوم أن ترسلينا لجلب خمسة كيلو جرامات من محل الجُملة، الذي يبعد عن بيتنا نحو كيلو متر واحد. الخمسة كيلو جرامات من دُكَّان شارعنا تتكلَّف 300 ليرة، أمَّا من محل الجُملة فإنها بـ250 فقط. توجَّهتُ أنا وأخي للمحل، واشترينا السُّكَّر بالـ250 ليرة التي أعطيتنا إيَّاهما. ولأنني أنا الأصغر، فقد تولَّى أخي حَمَل جِوَال السُّكَّر. سار بضع خطوات، ثم وضعه على الأرض، مُتَعَبًا. تنفَّسنا بعمق، ثم حملناه معًا. بعد خطوات معدودة، تملَّك التَّعبُ منَّا، فأنزلنا الجِوَال. كان ثقيلًا للغاية. استسلمنا، في نهاية الأمر، وتوجَّهنا إلى عربة الكارثة

التي تقف وحصانها على رأس شارعنا. شرح أخي للحوذي موقع بيتنا،
وسأله عن سعر توصيلنا. تفحصنا الرجل بنظرة غريبة، ورمق جِوال
السُّكَّر، ثم قال:

- خمسون ليرة.

لم نكن نعرف شيئاً عن الفِصال، ولذلك وافقنا على الفور. رفعنا
الجِوال ووضعناه في العربة، ثم ركبنا ودلّينا أرجلنا من الجانبين. كُنّا
نسكن في الطابق الخامس، ولذلك اضطر الحوذي لحمل الجِوال إلى
باب شقَّتنا. واقع الأمر أنه لم يكن يملك خياراً، إذ لم يكن معنا أي
نقود، وكان عليه أن يأتي معنا ليأخذ أجره. حين فتحتِ الباب لنا،
أخبرناكِ بما حدث. في البداية، ظننتِ أننا نُمزحكِ، لكنكِ سرعان ما
أدركتِ حقيقة الموقف، فذهبتِ للداخل، وعُدتِ بخمسين ليرة. وهكذا
انتهى الأمر بأن دفعَتِ المبلغ ذاته، الذي كنتِ ستدفعينه لصاحب
دُكَّان شارعنا. ما لم تُدركيه حينها هو أنني وأخي كُنّا نُعارض فكرة

احتكار رأس المال. كُنَّا نوُمن بضرورة توزيع رأس المال على أفراد الشعب. بدلاً من منح الـ300 ليرة بأكملها لصاحب الدُّكَّان، أعطينا تاجر الجُملة 250، ومنحنا الـ50 المتبقية للحوذي. كانت تلك هي اللبنة الأولى لحركتنا السياسية المُزدهرة، ولكن بسبب عدم اقتناعك بما فعلناه، تهاوت حركتنا قبل حتى أن تبدأ. أنتِ السبب في اعتماد "تركيا" على اقتصاد السوق المفتوح! انظري إلى أين وصلنا! لا شك في أن ضميرك يُعذِّبك أشدَّ التعذيب!

ثم تلك المرَّة التي ملأتِ فيها علبة طعام بزبادي صنعته بنفسك، وطلبتِ مِنَّا توصيلها لجدُّو الحاج. رحْتُ أنا وأخي نلهو ونتسكَّع في دروب الحارات الأربع التي تفصلنا عن بيت جدِّي. وصلنا مع بداية الظهيرة، وقد باغتتنا التعب والإرهاق. قالت تيتة الحاجَّة:

- لا بُدَّ أنكما جائعَان.

أحضرت لنا حُبْرًا، تناولناه مع الزبادي الذي أحضرناه. أكلنا بشهية،
وأنهينا كل شيء. غسلت تيتة العلبه، وأعطتنا إياها. أخذناها وعُدنا إلى
البيت. سألتينا:

- ما الذي أحرَّكما؟

أجبتنا بأننا تأخرنا لأننا تناولنا الغداء في بيت تيتة. سألتنا ماذا
أكلنا. قلنا:

- زبادي.

قلتِ بعدم تصديق:

- أرجو ألا يكون الزبادي نفسه الذي أرسلته معكما!

قلنا ببساطة ودهشة:

- هو نفسه طبعًا!

لأعوامٍ عديدة، كنتِ تُكرِّرين هذه القِصَّة على كلِّ مَنْ تعرَّفِينهم،
وتستغرقون جميعًا في الضحك، والسخرية مِنَّا. لم أَر شيئًا عجيبًا في
تصرُّفنا. كان كلُّ ما حدث طبيعيًّا. فكَّرتُ في المسألة طويلاً، لكنني لم
أتوصَّل لتحليلٍ منطقي لأحداث ذلك النهار، إلا وأنا داخل السَّجن. حين
أرسلتِ الزبادي لتيتة وجدُّو، لم يكن ذلك لأنهما بحاجة إليه. كلُّ ما في
الأمر أنكِ أردتِ إسعادهما. أحسَّا بسعادةٍ بالغَةِ فعلاً، بمجرد وصول
الزبادي إليهما، وما زاد من ذلك الإحساس هو رؤيتهما لحفيديهما
وهما يتناولانه بشهية واستمتاع. كان هدفك هو خلق لحظة سعادة
لهما، لكنني وأخي ضاعفنا سعادتهما، وجعلناها لحظتين! لذلك كان من
الظلم أن تضحكوا علينا لسِتِّ وثلاثين سنة، دون سبب وجيه. يا لكم
من أشرار!

في العام ذاته كذلك، بدأتِ مشروعك الخاصَّ بـ"حياكة طاقيات
الصلاة". تجلسين في البيت، ممسكةً بإبرة الـ"كروشيه"، تصنعين من
الخيوط الاصطناعية طاقيات للصلاة، ثم ترسلينني و"نور الدين"

لبيعتها. حسنًا، لم ينجح المشروع للدرجة التي توقّعناها، لكن سوق طاقات الصلاة سجّل تراجعًا عالميًا كبيرًا في تلك السنة، على كل حال. لطالما وجّهت لنا اللوم، مُعتقِدةً أن السبب هو فشلنا في التسويق. أمّا نحن - من جهةٍ أخرى - فلم يخطر ببالنا أبدًا التشكيك في عيوب عملية الإنتاج ذاتها! انتشرت في ذلك الموسم موضة الطاقات المغزولة من خيوط ناعمة، بألوان فاتحة. ذلك على الأقل ما لاحظنا أن الناس تشتريه من الباعة المتقدمين في السن. أمّا أنتِ، فقد أصررتِ على مواصلة حياكة طاقاتك ذات الخيوط الغليظة والألوان الغامقة: نبيذي، وكاكي، وأسود، بالإضافة إلى الأحمر. بالله عليكِ يا أمي! هل سبق لكِ رؤية طاقات صلاة تجمع بين اللونين الأخضر والأحمر؟ كان علينا، والحال هذه، فتح دُكَّان طاقات أمام ستاد "ديار بكر" الرياضي! أعني مَنْ الذي لا يرغب في شراء طاقية صلاة بلون ملابس فريقه المُفضَّل لكرة القدم؟ ظللنا نحاول بيع بضاعتنا، أمام الجامع الأكبر. على كل حال، انتهى بنا الأمر ببيع أغلبها لجدُّو الحاج. كلما

عائنا من بَطء حركة البيع، توجَّهنا إلى دُكَّانه. هناك، نأخذ منه بسكوت الـ"ويفر"، ويأخذ منَّا طاقتين أو نحو ذلك. بعنا لوالدكِ عشرين طاقية على الأقل، واسمحي لي بأن أذكركِ بأنكِ صنعتِ خمسًا وعشرين واحدة فقط!

هناك كذلك تلك المرَّة التي عاد فيها أبي من عمله مُبكرًا، ليتناول غداءه في البيت. قليلًا ما كان يفعل ذلك. لكنه اشتهى الطعام المنزلي في ذلك اليوم. أخذتِ تُعدِّين المائدة على عجاله، وقمتِ بإرسالنا لشراء الخبز من الدُّكَّان. لسببٍ ما، كلما قلتِ "دكان"، دون تحديد الوجهة بالضبط، ظننَّا أنكِ تقصدين دُكَّان جدُّو. هذه المرَّة أيضًا، تلكَّأنا في طريقنا إليه، وتناولنا بسكوت الـ"ويفر" عند وصولنا، ثم عُدنا للبيت مُتمهِّلين. استغرقتنا الأمر حوالي ثلاث ساعات. عند رؤيتنا، صحتِ بنا:

- أين كُنتما؟

من الواضح أنكِ أصبتِ بالقلق. أجبنكِ:

- في دُكَّانِ جَدُّو..

قُمتِ بسؤالِي عن الخبزِ. التفتُّ نحو أخي، وكأني أقول: "هو المسؤول عن إحضار الخبز دائماً، فلمَ تُوجِّهين كلامك لي الآن؟". كنتِ غاضبة، ولم تقنعكِ تبريراتنا. اضطر أبي لتناول طعامه دون خبز، في ذلك النهار. حسناً، ليس لديَّ سبب معقول لهذه الحكايات، ولذلك فإني أقترح تجاوز هذه النقطة. على كل حال، كانت 1981 سنة صعبة بالنسبة لنا. لكن الأوقات الصعبة تنتهي تدريجياً يا أمي. تنتهي دائماً. أُقبِّل يديكِ، وأيدي جميع الأمهات في كل مكان.



11

وحيّدُ كالتّاريخ



لم أكن كثيرة الكلام مع أبي. يقولون إن الآباء يُحِبُّون بناتهم على نحوٍ خاصٍّ، لكنَّ والدي لم يُشعِرني بذلك أبدًا. لطالما كان مُتَحَفِّظًا؛ ليس معي وحدي فحسب، بل مع كل من حوله. لم أره يومًا يجادل أمي، أو يتشاجر معها، لكنني - في المقابل - لم ألحظ مطلقًا أيَّ نوعٍ من العواطف الخاصَّة بينهما. أظن أن أمي تقبَّلت طباعه، وتقبَّلت حياتهما الرتيبة. ليس في ذاكرتي إلا مواقف قليلة، مُتباعدة، تجمع بينهما وهما يُثثران معًا، أو يضحكان من قلبهما.

كُنَّا نملك حديقة ورد كبيرة في مدينة "إسبرطة" بجنوب غرب تركيا. امتهن والدي بيع الورود. كان وأمي يشتركان في رعاية حديقتهما والاهتمام بمزروعاتها. لم يتجاوز أبي المرحلة الإعدادية من تعليمه، أمَّا أمي فكانت تجهل القراءة والكتابة تمامًا. قبل ولادتي، أنجبا طفلًا واحدًا، مات في عُمر الشهرين، ثم لم تحمل أمي بعدي. في طفولتي، كنتُ أعاونهما في الحديقة، لكن عملهما لم يجذبني أو يُثير

اهتمامي قَطُّ. تطلَّعتُ دومًا لاستكمال تعليمي والالتحاق بالجامعة،
وكان أبي يشجعني على هذه الخطوة.

اجتزتُ امتحانات القبول، وذهبتُ إلى "إسطنبول" لدراسة الهندسة.
وباستثناء الزيارات القصيرة إلى مدينة "إسبرطة" خلال إجازات الصيف،
فإنني لم أعد أتردَّد عليها. عندما ماتت أمي منذ خمس سنوات،
أمضيتُ أسبوعًا مع أبي هناك، لكننا لم نتبادل كثيرًا من الكلام خلال تلك
الفترة. احتفظ أبي بأحزانه لنفسه، لكنني أحسستُ بالخواء الذي خلَّفَه
رحيل أمي، في حياته وروحه.

كانت أمي هي الأقرب لي. اعتدنا أن نتحدث تليفونيًّا مرَّات عدَّة في
الأسبوع الواحد. كُنَّا نتشارك أمورًا كثيرة. بعد إلحاحٍ طويلٍ منِّي،
اقتنعتُ بزيارتي. أتتني في "إسطنبول" مرَّتين، وأخذتها في جولة لأهم
معالم المدينة. لم أعبأ بدعوة أبي، لأنه كان سيرفض حتمًا. حين ماتت أمي
فجأة، داهمني شعورٌ باليتم. فقدتُ أمي، ولم أشعر أبدًا بأن لي

أبًا. لم أتوقع أن يحتلّ مكانها في حياتي، وفي المقابل، لا أظن أنه توقّع منّي شيئًا كذلك. أعلم طبعًا أنه أحبّني، كل ما في الأمر أننا لم نكن مُتقاربين للدرجة التي تجعله يُظهر مشاعره، أو هذا ما أظنه على الأقل. المؤكّد هو أنني لا أتذكّر أبدًا أنه عاملني - ولو مرّة - بشكل سيئ، أو أنه رفع صوته مؤنّبًا. لطالما كان هادئًا وصامتًا. رجلٌ جيّد.

بعد أن أمضيتُ أسبوعًا معه، قُلْتُ له بأنني يجب أن أعود إلى "إسطنبول". أجبني:

- بالطبع يا حبيبتي. عليك أن تعودي لحياتك هناك.

أضف مُطمئنًا:

- لا تقلقي بشأني.

كانت تلك هي المرّة الأولى التي أسمع فيها صوته مُختنقًا بكل تلك العواطف الجياشة. قُلْتُ له:

- لم لا تأتي معي؟

كنتُ جادَّةً في عرضي، واندَهشتُ أنا نفسي لذلك، لكنه لم يُظهر أيَّ علامة على الاستغراب، وقال بهدوئه المُعتاد:

- شكراً يا حبيبتي، لكن أوضاعي هنا جيِّدة، حتى الآن. كما أن موسم الحصاد اقترب. عقب انتهائه، سأفكِّر بالخطوة التَّالية. ودَّعته، وغادرت.

تكدَّس كثير من العمل خلال الأسبوع الذي غبته، وهكذا انغمست في تنفيذ المهام المتأخِّرة، فور رجوعي، ما ساهمَ في انشغالي عن أحزاني. كان لديَّ مكتبٌ هندسي أديره مع شريكٍ لي، وكانت أعمالنا ناجحة ومتميزة. سرعان ما بدأنا تنفيذ مشروعات عملاقة، لم نكن نجرؤ على الحلم بها أصلاً. في تلك الفترة، كانت "إسطنبول" تخضع لحركة تجديد عمرائي، والمدينة تضجُّ بالأعمال الإنشائية الكثيرة. نجحنا في اقتطاع جزء لا بأس به من الكعكة لأنفسنا.

ربطت صداقة متينة بيني وبين "فرات"، شريكى في المكتب، منذ أن
كُنَّا طالبين. في سنتنا الدراسية الأخيرة، تطوّرت علاقتنا إلى حُبِّ مُتبادل.
عندما أتت أمي لزيارتي في "إسطنبول"، قدّمتها لها. بعد قضائهما بعض
الوقت معًا، قالت لي:

- حافظي عليه يا حبيبتي. إنه شخصٌ جيّد.

تبعْتُ نصيحة أمي، وتزوَّجتُه بعد مرور سنة على وفاتها. اتَّصلتُ
بأبي لأبلغه بأنني سأتزوَّج. قال لي:

- خبر جميل يا حبيبتي، سعدتُ لسماعه.

أقمنا حفلًا صغيرًا، اتَّسم بالبساطة، لأصدقائنا المُقرَّبين. لم يأتِ أبي،
لكنه اتَّصل بنا مساء ذلك اليوم، لتهنئتنا.

بعد نحو شهر على زواجي، اتَّصل بي ثانيةً، ليبلغني هذه المرّة بأنه
باع أرضه. أضاف:

- سأنتقل إلى مسكنٍ صغيرٍ في "فينيقيه"، يا حبيبتي. سوف أرسل لك العنوان، لاحقًا. لا تقلقي بشأنِي.

تمنَّيتُ له السعادة، وطلبتُ منه أن يتَّصل بي إن احتاج إلى شيءٍ. عقب أسبوعين، بعث لي برسالةٍ نصِّيَّةٍ يخبرني فيها بعنوانه الجديد، في قريةٍ ساحليَّةٍ بـ"فينيقيه". قال أيضًا إنه بخير، ودعانا لزيارته والإقامة معه، في أيِّ وقت. كتبتُ له: "سنزورك قريبًا، بالتأكيد. اعتنِ بنفسك". بعدها، واطبْتُ على الاتِّصال به، مرَّةً واحدةً شهريًّا على الأقل، للاطمئنان عليه. في أغلب الأحيان، كانت ردوده لا تتغيَّر، وتنحصر في كونه بخير وسعيدًا ومُستمتعًا بحياته عقب تقاعده عن عمله.

تميَّزت حياتي مع "فرات" بالاستقرار والسعادة، كزوجين، وكشريكين في العمل أيضًا. نعملُ ستَّةَ أيَّامٍ في الأسبوع، ثم نقضي يوم الأحد في المنزل. مساء السبت، نلتقي أصدقاءنا في منطقة "باي أوغلو"، لنشرب قليلًا، ثم نتوجَّه جميعًا إلى السينما أو المسرح،

لنتخفّف من أعباء أعمالنا الشاقّة طوال الأسبوع. "فرات" قارئٌ ممتاز.
أنا أيضًا أحبُّ القراءة، لكنه يعشقها فعلاً. يتابع الإصدارات الجديدة
باهتمام بالغ، ويقرأ ما يُكتَب عنها، ثم يذهب في إجازته الأسبوعية إلى
المكتبة، ويخرج منها مُحمّلاً بأعداد كبيرة من الكتب. سرعان ما بدأتُ
أشاركه هذا الشّغف، باهتمام أكبر. عندما تعجبه أيُّ رواية، يُعطيني
إياها عقب الانتهاء منها، لأقرأها أنا أيضًا. أثق في ذوقه الأدبي، ولم
يُخيّب ظنّي ولو مرّة برواية دون المستوى. في إحدى الليالي، كان
مُستلقياً على الفراش، يقرأ رواية جديدة. حين انتهى، أغلق الكتاب
ووضعه على صدره، وراح يحدّق في السقف، مستغرقاً في التفكير. قال
أخيراً:

- ياه! هذا الرجل يجيد الكتابة حقاً!

أضاف:

- إنها روايته الأولى، لكنها ممتازة.

مدَّ يده نحوِي بالكتاب، قائلاً:

- اقرئها. ستحببناها.

كان العنوان نفسه لافتًا ومتميزًا.. "وحيدٌ كالتاريخ". المؤلّف هو "حسن وفا كراداجلي". حسبما كُتِبَ عنه على الغلاف الخلفي، فإنه مهندس ميكانيكا متقاعد. غير مذكور معلومات أخرى ذات قيمة، ولكن يُفهم أنه أكبر عُمرًا من الصورة التي اختاروا وضعها على الغلاف. تصفّحتُ الكتاب سريعًا، ثم قلتُ لـ "فرات":

- شكرًا، سوف أقرؤه لاحقًا.



شهدت المدينة هدم مبانٍ عديدة، وتشديد عمارات حديثة فاخرة مكانها، بسرعةٍ فائقة. كسبنا كثيرًا من المال، خلال هذه الفترة، وبخاصّة من عقارات مشروع "فيكيريبيب - كاديكوي". تغيّرت حياتنا تمامًا، ونجحنا في استثمار مدّخراتنا عن طريق شراء وبيع

العقارات المختلفة. ربحتنا أموالاً إضافية بهذه الوسيلة. تسارعت وتيرة العمل، وتزايدت معها رغبتنا المشتركة في كسب مزيد من المال؛ باختصار، تحولنا إلى آلات. استهلكتنا تمامًا عملية جمع الأموال، لدرجة أننا لم نعد نملك وقتاً لإنفاقها. وعدا المنظمات غير الحكومية التي كانت تحارب عمليات الهدم والإعمار، القائمة على قدمٍ وساق، فإن حياتنا كانت تخلو من المنغصات، بشكلٍ عامٍّ. أما بشأن سعادتي الشخصية، فالحقيقة أنني لم أعد أملك رفاهية التفكير في المسألة، نظراً لضيق وقتي. في النهاية، كُنَّا نعمل ونكسب المال ونعيش معاً بشكلٍ جيّد. لم نعد نمضي كثيراً من أوقاتنا معاً، كما اعتدنا، لكن حياتي و"فرات" خَلَّت من أيِّ مشكلات حقيقية.

أدمنتُ "وحيّدٌ كالتاريخ" منذ الصفحة الأولى، لكن ضغوط العمل اضطررتني لقراءة صفحات معدودة من الرواية كل ليلة، قبل نومي. استسلمتُ بعد أسبوع، ومنحتها جزءاً أكبر من وقتي، بعد أن وصلت للمرحلة التي أفارق فيها الكتاب بصعوبةٍ شديدة. لم أستطع التوقُّف

عن التفكير بها النهار التالي، ولذلك غادرتُ عملي في ساعةٍ أبكر من المعتاد، وأمسكتُ بها فور عودتي للمنزل. اتّصل بي "فرات" ليخبرني بأنه في موقع البناء، لكنه سيتوجّه للمكتب بدلاً من الرجوع للبيت، وأنه سيتأخّر. انتهزتُ الفرصة للاستغراق في القراءة.

دخل "فرات" مُتمهلاً، في هدوء، كي لا يوقظني من نومي. كنتُ في الصفحة الأخيرة. سألني مندهشاً عن سبب سهري حتى تلك الساعة المتأخرة من الليل. لم أشأ تبديد تركيزي، فاكتميتُ بإسكاته بسرعة:

- شششش!

ظلاً واقفاً في صمت، لدقائق عدّة، إلى أن انتهيت. راقبني بحماسٍ بالغ. ما إن أغلقت الكتاب، حتى بادرتَه بالقول:

- يا له من كتاب! كنتُ مُحِقّاً، ولم تكن تُبالغ!

- صحيح، أليس كذلك؟ لقد مَسَّ مشاعري أنا أيضاً.

اقترَب منِّي، مستطرداً:

- إنه يلخّص معنى الإحساس بالوحدة، حتى لو كنتَ مُحاطًا
بكتيرين. في بعض الأحيان يا "نيرمين"، أفكّر في جدوى ما فعلته.. أعني
أننا نعمل بجديّة، وباستمرار، ولكن ما المقابل، عدا المال؟ وعلى ذِكر
المال، فإن كل هذه الثروة تملؤني بوحدةٍ رهيبة. هذا يُخيفني أحيانًا.
أشعرُ بأن تسلُّق السلم الاجتماعي سينتهي بنا في الفضاء الخارجي. كلما
صعدتِ للأعلى، تزايدتِ الوحدة. تتعددين عن الجميع، شيئًا فشيئًا، ثم
تكتشفين أنكِ بعيدة عن المجتمع بأكمله. أنتِ داخل فقاعة خاوية، لا
تؤنسكِ سوى الوحدة. المؤسف أننا نركض ليلَ نهار محاولين الوصول إلى
هناك. إننا أشبهُ بمخلوقاتٍ بائسة تختار هجر أماكنها التي تضحُّ
بالحياة، والذهاب إلى برّية لا أثر لأيِّ حياة فيها.

طوال حديثه، بدا "فراة" كما لو كان يكلم نفسه. قُلْتُ له:

- أنتِ مُحِقَّة. حان وقت تغيير نظرتنا وأسلوبنا في الحياة.

أضفت:

- وكان هذه الرواية كُتِبَتْ لنا خُصِيصًا. علينا أن نعيد تنظيم حياتنا، وتحديد أولوياتنا من جديد. يجب أن يتجاوز تفكيرنا حدود أنفسنا ومصالحنا فقط.

نظر "فرات" إلى عيني، وقال:

- لديّ فكرة يا "نيرمين"، فلنأخذ إجازة طويلة. نحن الاثنين فقط. يمكننا أن نغادر في الصباح. ستمنحنا الإجازة فرصة لإعادة التفكير في أوضاعنا. سنتحدّث معًا، ونتناقش بعمق. وهي فرصة لتبيل بعض الراحة كذلك. ما رأيك؟

تعمدّت جعل نبراتي هادئة، وأنا أحاول إقناعه بتأجيل الأمر:

- ولكن لحظة.. لا يمكننا المغادرة في الغد، لدينا أعمال كثيرة لم تنته منها بعد. سيتسبب سفرنا في فوضى عارمة.

لكننا، صباحًا، كُنّا نضع حقائبنا داخل السيارة. لم نكن مصدّقين ما نفعله. ما إن ركبنا السيارة، حتى بدأنا التخطيط لتفاصيل رحلتنا.

قررنا أن يكون خط سيرنا هو الطريق الساحلي لبحر "إيجة"، على أن تكون "فينيقيه" هي محطتنا الأخيرة. زيارة سريعة لأبي، ثم العودة مباشرةً. فور وصولنا لهذا الاتفاق، اتَّصلتُ بأبي أخبره بأننا في طريقنا إليه، وأنا سنكون هناك بعد نحو عشرة أيام. أجنبي:

- قودا بحذر يا حبيبتى. رافقتكما السلامة.

تنقلتُ أنا و"فرات" بين المناطق الساحلية، مُتمهِّلين. تبادلنا أحاديثَ حول ماضينا ومستقبلنا. تناقشنا في الوضع السيئ للبلد، والأحوال الرهيبة في العالم بشكلٍ عامٍّ، والتدهور الثقافي، والكوارث البيئية، وتزايد ظاهرة الفردية، والعلاقات الإنسانية المبتورة، وكيف تبدَّل مفهوم الحب تمامًا؛ ناقشنا كثيرًا من المسائل الحياتية طوال أيام. حين وصلنا إلى "فينيقيه"، كُنَّا نشعر بهدوءٍ وسلامٍ داخلي. كانت رحلتنا معًا بمثابة جلسات علاج نفسي.

كان أبي قد شرح لنا كيفية الوصول إلى القرية التي يسكنها. نجحنا في الوصول إليها، بعد صعوبةٍ طفيفة. تحت ظلال أشجار وارفة، على جانبي الطريق، تناثرت بعض الدكاكين، وعدد من المطاعم الصغيرة. على الغابة التي تعلو التلّ، رأينا نحو عشرين بيتًا. توقفنا أمام مقهى القرية، فرأينا أبي جالسًا مع ثلاثة مُسنّين، حول منضدة خشبية. ما إن لمحنا، حتى هَبَّ واقفًا، وأتى إلى السيارة، مبتسمًا في سعادة. عانقنا بحرارة، ثم تمعّن جيّدًا في "فرات". كانت تلك هي المرّة الأولى التي يقابله فيها، رغم مرور عامين على زواجنا. كان "فرات" متهيّبًا للقاء، لكن ترحيب أبي الدافئ أزال مخاوفه تمامًا. عرفنا والدي على أصدقائه، ثم اقترح أن نذهب إلى بيته. أصرَّ صاحب المقهى على تقديم الشاي لنا، لكن أبي مازحه قائلاً:

- الشاي الذي أعدّه في البيت، أفضل وأحلى من شايك هذا أصلًا!

تقدّمنا أبي، طالبًا منّا أن نتبعه. مررنا بمطعم أسماك له حديقة من كروم العنب والأزهار المبهجة، ثم بمقهى ذي حديقة واسعة تتوزع فيها الطاوات والبرجولات. في الطريق لبيت أبي، رأينا كشغًا يبيع هدايا تذكارية ومصنوعات يدوية. وصلنا أخيرًا إلى منزل أبي. حديقة كبيرة، مليئة بشجيرات الورد. بُنيَ في أحد أركانها كوْحٌ صغير جدًّا. تحت قوسٍ من النباتات المتسلّقة، مقعدان عريضان من الخشب، تناثرت عليهما مخدّات بتصاميم تراثية، وتوسطهما طاولة خشبية كبيرة الحجم. جلسنا على أحد المقعدين، نتأمل الحديقة التي وضع فيها أبي خلاصة خبرته في الزراعة، فخرجت بهذا الجمال البديع.. وردٌّ من كل لون، وأشجار فاكهة. إن مددتَ بصرك عبر أشجار الحديقة، يمكنك رؤية البحر بوضوح. تركنا أبي، ليحضر لنا الشاي. واصلنا تأمل المناظر حولنا، وتسلسل إلينا شعورٌ بالارتياح والاسترخاء، فعدا صوت السيارات التي تمر على فترات متباعدة، وهي تهبط من التلّ، لم نسمع سوى صوت الأمواج وهي تضرب الشاطئ،

وهمس النسيم الناعم، وأزيز حشرات الحديقة. فكرتُ في روعة المكان الذي اختاره أبي لقضاء أعوامه الأخيرة، وفي الحقيقة أحسستُ بشيءٍ من الغيرة. كانت الرُّحلة قد أرهقتنا، وشعرتُ أنا و"فرات" برغبةٍ مُلِحَّةٍ في الاستلقاء على المقعد والاستسلام للنعاس. سرعان ما عاد أبي يحمل في إحدى يديه إبريق الشاي، وفي الأخرى صينية تعلوها الأكواب. كان للشاي مذاقٌ رائع. واصلنا الجلوس في الحديقة، وتكلّمنا معًا لساعاتٍ طويلة حول عملنا وأخبارنا، وحياة والدي الجديدة في القرية. كان قراره بالانتقال إلى هنا، عقب وفاة أمي، صائبًا دون شكٍّ. بدا أكثر حيوية، ولديه قدرة أكبر على تبادل الأحاديث، عمّا قبل، وإن كان لا يزال متحفّظًا بعض الشيء، وغامضًا ربما. لعله لم يكن غموضًا على الإطلاق، وكل ما في الأمر أن حياته رتيبة وتقليدية، وليس فيها ما يخبرنا به. رؤيته بمزاجٍ رائع، أسعدتني للغاية. تمسّك بأن نبيت ليلتنا في منزله، لكننا اعتذرنا لضرورة عودتنا إلى "أنطاليا" تلك

الليلة، لنطير منها إلى "إسطنبول"، التي أعدنا إليها سيارتنا عبر خدمة
توصيل متخصصة. استسلم أبي لإصرارنا على الرحيل، وقال:

- حسنًا.. فلنتناول العشاء معًا على الأقل!

ولأننا كُنَّا نشعر بجوعٍ شديد، لم نستطع مقاومة هذه الدعوة.
توجَّهنا إلى أحد مطاعم الأسماك المنتشرة على الطريق الرئيسي. بدا
واضحًا أن أبي على علاقة طيبة بالجميع، وأنه استطاع تكوين صداقات
جيِّدة. جلسنا على إحدى موائد حديقة المطعم. كان الطعام لذيذًا
وظازجًا للغاية، فالتهمنا المُقَبَّلَات والسلطات والأسماك شهيةً. بينما كُنَّا
نشرب الشاي، قَصَّ علينا والدي بعض الحكايات والمواقف التي مرَّ بها
في القرية، بعينين تلمعان بريق البهجة. ودَّعناه بعدها، وبدأنا رحلة
العودة. طوال الطريق، تحدَّث "فرات" عن إعجابه الشديد بأبي
وحكاياته، وعن ضرورة زيارته بشكلٍ مُنتظم.

حين عدنا إلى عملنا صباح اليوم التالي، كُنَّا نشعر بحيويةٍ بالغةٍ، وكأننا نقف على عتبة حياة جديدة. كُنَّا قد اتخذنا قرارًا بألا تقتصر حياتنا على العمل والمال فقط. سوف نغيِّر أولوياتنا، وسنؤلي اهتمامًا أكبر بالمسائل الاجتماعية والسياسية. هذا على الأقل ما اتفقنا عليه، خلال أيام الرِّحلة. قبل انقضاء أسبوعين على عودتنا، رجعتُ أنا و"فرات" لعاداتنا القديمة. الواقع أننا صرنا نعمل لساعاتٍ أطول عن ذي قبل. يبدو أن كل ما قلناه، وكل ما عاهدنا أنفسنا عليه، لم يكن أكثر من اعترافات مُتبادلة، ومحاولات للتطهُّر من خطايا النجاح الباهر. كان ذلك نوعًا من أحلام اليقظة، التي لا ضرر منها على الإطلاق.

لستين، استمرَّت حياتنا على المنوال ذاته. ازدهرت أعمالنا أكثر، وانتقلنا لمكاتب أكبر. صار لنا فريقٌ يتكون من 12 مهندسًا، يهتمُّ بالأعمال اليومية البسيطة، بينما نتولَّى أنا و"فرات" إنجاز المشروعات الكبرى. نعمل بسرعةٍ محمومة، تلاحقنا مخاوف الفشل والإفلاس وفقدان كل ما حقَّقناه. في بعض الأحيان، لم يكن أحدنا يرى الآخر

لأيام عدّة متواصلة. كُنّا ننهار من فرط الإرهاق، ليلًا، لنستيقظ فجرًا ونهرع إلى المكتب أو أحد مواقع البناء لإتمام مزيد من المهام والأعباء. الواقع أن الثروة التي جمعناها كانت تكفينا لأكثر من عشر حيوات مجتمعة. لم يكن لأيّ منّا عائلة كبيرة وأقارب، ونظرًا لانشغالنا الدائم لم تخطر ببالنا فكرة إنجاب أطفال. كنا سعيدين، ولذلك ظننا مُخطئين أن هذه هي السعادة ذاتها.



كُنّا نتسكّع في "بيوجلو"، في إحدى أمسيات السبت، حين لفت نظرنا "بوستر" كبير في واجهة مكتبة يعلن عن روايةٍ جديدةٍ لـ "حسن وفا كراداجلي"، تحمل اسم "وحده الحبُّ يبقى معك". سارعنا بالدخول وشراء نسختين لنا. قال "فرات" بحماس:

- أرجو أن تكون في روعة روايته الأولى.

لم تحظَ "وحيّد كالتاريخ" بإعجاب القُرّاء وحدهم، بل وبإعجاب النُّقاد كذلك، كما تُرجمت إلى لغاتٍ عديدةٍ، وفازت بكثير من الجوائز.

أمضينا اليوم التّالي في المنزل، نقرأ الكتاب الجديد. استغرقتنا القراءة تمامًا، حتى إننا لم ننتبه لعدم تناولنا الطعام إلا بحلول المساء، حين أعلن "فرات" ضرورة إعداد شيء نأكله. فعلنا ذلك على عجلة، حتى نعود للكتاب ثانيةً. القصة مُتميّزة. كانت من القوّة بحيث لم نستطع تركها لبعض الوقت. واصلنا القراءة بقيّة اليوم، وانتهينا في وقت مُتقارب، نحو منتصف الليل. خرج "فرات" من غرفة المكتب، فوجدني مستلقية على أريكة غرفة المعيشة، بعينين منتفختين من أثر البكاء، وأنا أحملق في السقف. كانت الرواية الأولى عملاً أدبيّاً بالغ التميّز، حفّزنا على التفكير وتأمّل سلبيات حياتنا، ومحاولة تغييرها، وإن فشلنا لاحقاً في تطبيق قرارنا بالتغيّر. الحقيقة أنها أيقظتنا من سُباتنا، وجعلتنا نرى الخواء بداخلنا، رغم كل مظاهر الثراء التي نتمتّع بها؛ أمّا هذه الرواية الجديدة فكأنما كُتبت عنّا نحن الاثنين

تحديداً. تحكي عن حياتنا وفق قواعد الآخرين، وعن حُبنا الضائع، وعن رغباتنا. كيف أن متطلبات السوق المُلحَّة أطفأت نُورنا. سهرنا الليل بأكمله نناقش هذه المسائل، وغيرها. تحدَّثنا عن حياتنا وعلاقتنا ببعضنا، وعمَّا تبقَّى من عواطفنا العاصِفة القديمة، وعن الفخُّ الذي يُحاصرنا، وعن قُدرتنا على الفكاك منه. تكلمنا عن ثرواتنا المُتراكمة في البنوك، وتساءلنا إن كان بإمكانها ملء الفراغ الذي خَلَفه حُبنا الذي غاب عنَّا. لم يكن من السهل علينا الاعتراف بأننا، ومنذ فترة طويلة، بتنا لا نرى في بعضنا سوى شريكي عمل فقط، لا أكثر.

أنهى "فرات" حوارنا بضحكة، أتبعها بالقول:

- يبدو أننا بصدد إجازة ثانية.

أجبتُه:

- أرجو ألا تكون خطتك هي السفر فجأةً، في ساعةٍ مُبكرٍ، كما

فعلنا المرَّة الماضية!

- كلاً. سوف نُخطِّط لرحلتنا أوَّلًا، في الأيام المُقبلة.

- حسنًا. لمَ لا؟ والآن، علينا أن نذهب للمكتب.

تحمَّمنَا، وتناولنا إفطارًا سريعًا، قبل أن نُجرجر جسدنا المُتعبين،

الذين لم يحظوا بأي قدر من النوم، إلى العمل.

كان المكتب أشبه بخلية نحل، لكن عقلي كان غائبًا ومُشتتًا في

أحداث الرواية. أمضيتُ ساعات الصباح وأنا أطوف المكان دون هدف

حقيقي، يثقلني الإحساس بالتعب. عند اقتراب الظهيرة، استسلمتُ

وتكوَّمتُ فوق أريكة مكتبي المُكيَّف، وسرعان ما استغرقتُ في نومٍ

عميق، لم يوقظني منه إلا رنين الموبايل. فتحتُ عينيَّ بصعوبة. لا

أدري كم نمتُ، لكنني كُنتُ لا أزال مُرهقة. يبدو أن "فرات" مرَّ بي،

فقد صحوْتُ لأجد بطانيةً تُغطِّيني، ومخدَّةً تحت رأسي. مددتُ يدي

بتثاقل، وتناولتُ الموبايل من فوق المنضدة. كان الرقم غريبًا. فكَّرتُ

في إغلاق الصوت، ومُعاودة النوم، لكنَّ المتَّصل كرَّر طلب رقمي أكثر من
مرّة. أجبتُ بصوتٍ يُغالب النُّعاس:

- آلو.. نعم؟

- "نيرمين"، عزيزتي؟

بدا أن المتحدِّث رجلٌ مُسنٌّ.

- نعم. أنا "نيرمين"، مَنْ أنتَ لو سمحت؟

- أنا "سليم"، من "فينيقيه". أنا صديق والدك. أنا الصيَّاد.

- آه، نعم. العم "سليم". أعتذر. لم أُميِّز صوتك.

تملِّكني القلق، ما الذي جعله يتَّصل بي؟

- أنا آسف يا عزيزتي، لكنَّ والدك ليس بخير. إنه في المستشفى. هنا

في "فينيقيه". من الأفضل لو تأتين حالاً.

وثبتُّ واقفةً، فور سماعي لهذه الكلمات.

- ماذا به يا عمِّي؟ هل الأمر خطير؟ هل أنت معه؟

كرَّر عباراته مرَّةً ثانية:

- إنه ليس بخير. من الأفضل لو تأتيت حاليًا. هذا كل ما يمكنني

قوله..

أنهى المكالمة. نقلت لي نبرات صوته مدى خطورة الوضع، لكنني لم أشأ التفكير في التفاصيل. حاولت التماسك، واتَّصلت بـ"فرات" الذي كان في أحد مواقع البناء. شرحتُ له الوضع سريعًا، وطلبتُ منه مُلاقاتي في المطار.

كان الوقتُ يقترب من منتصف الليل، حين وصلنا إلى المستشفى. كان العمُّ "سليم"، وعدد من أهل القرية، بانتظارنا أمام المدخل. وقوفهم في الخارج، على ذلك النحو، جعلني أدرك ما حدث بالضبط. شعرتُ بأنني سأقع مغشيًا عليّ، لولا أن أسندني "فرات". لم تكن علاقتي بأبي فمطية، ومع ذلك لم أتخيَّل أن يهزني رحيله بذلك

الشكل الموجه. كان أبي، ولم يعد موجودًا. في حديقة المستشفى، وضعت رأسي بين يديّ، وانفجرتُ في البكاء.

عندما لم يخرج أبي ذلك الصباح، اقتحم أصدقاءه الكوخ، وعثروا عليه ممددًا على فراشه بهدوء وسكينة، كما لو كان نائمًا. طلبوا له الإسعاف، لكن الوقت كان قد فات. أرسل الطبيب جثمانه إلى المشرحة مباشرةً. اتَّصلوا بي على الفور. كانوا جميعًا في حالة انهيار. تحدَّثوا عن طبيئته. قالوا إنهم تعاملوا معه بنوعٍ من البرود، في بادئ الأمر، لكنه سرعان ما كسب ودَّهم وثقتهم، وصار واحدًا منهم. بينما كانوا يُعدِّدون مميزاته الكثيرة، كنتُ أنا ألعن نفسي.. ما الذي كنتُ سأخسره لو أنني منحته بعضًا من وقتي؟ شيئًا من اهتمامي؟ صحيح أنه كان متحفظًا في علاقته معي، لكنني أنا بدوري لم أحاول التقرب منه.

بعد أن هدأت قليلاً، سألتني أصدقاؤه عن المكان الذي سيُدفن فيه.
باغتني السؤال، ويبدو أن ذلك انعكس على ملامحي، بوضوح. لم أفكر
في تلك المسألة، مُطلقاً. الواقع أن فكرة موته لم تخطر ببالي أبداً، من
الأساس. الأسوأ من ذلك، أن أبي نفسه لم يخطر ببالي مُطلقاً طوال
الأشهر الماضية. بعد بعض التردد، قُلتُ أخيراً:

- أعلم أنه ما كان سيُمنع في أن يُدفن هنا، لكن إن لم يكن لديكم
أيُّ اعتراض، فإنني أودُّ دفنه في "إسبرطة"، بجوار قبر أمِّي.

أعلن الجميع أن قراري صائب. ناقشنا تفاصيل الجنازة، ثم أعلنتُ
أن و"فрат" أننا سنُغادر في الصباح الباكر، فانصرف الحضور، ولم يبقَ
منهم سوى العمُّ "سليم"، الذي قال لنا بحزم:

- هبّا بنا. أنتما ضيفاي الليلة.

أجابه "فрат":

- هذا كرمٌ بالغٌ منك، لكننا لا نودُّ أن نزعجك. سنببئُ الليلة في فندق. كما أن علينا أن ننطلقَ غدًا في ساعةٍ مبكرةٍ للغاية.

- هذا غير ممكن. يشرفني استقبالكما في منزلي. على كل حال، يمكنكما المبيت في بيت والدك يا "نيرمين".

أعجبتني الفكرة، فقلتُ على الفور:

- بالطبع، هذا أكثرُ منطقيّة.

أوماً "فرات" برأسه مُوافقًا.

حين أضأنا النور في كوخ أبي، استطعنا رؤية جميع تفاصيل المسكن، من مكاننا، فهو عبارة عن صالة صغيرة تنتهي بغرفة نوم، ومطبخ صغير وحمام. الأثاث قليل جدًا. مقعد عريض يماثل الاثني الموجودين في الحديقة، ومنضدة صغيرة، وسجادة "كيليم" قديمة. لفت نظرنا مكتب خشبي في مواجهة نافذة الصالة، أمامه كرسي. فوق المكتب، مصباحٌ كهربائيٌ وعديد من الدفاتر، تشبه تلك التي كُنَّا

نستخدمها في المدرسة الابتدائية. هناك أيضًا مجموعة من أقلام الرصاص. ذهب "فرات" لاستكشاف حجرة النوم والحمام. تناولت دفترًا وتصفحته سريعًا. كل صفحة تمتلئ بخطّ أبي. أحد عشر دفترًا بالضبط، جميعها بخطّ يده. إما أن أبي كان يحاول تحسين خطّه، أو أنه.. ماذا؟

أخذت الدفاتر كلها، وجلستُ على المقعد الخشبي. أقرأ الصفحة الأولى. تعقد الدهشة لساني. أحتاج إلى بضع لحظات، حتى أستجمع قواي وتركيزي. أنادي "فرات". يأتي ويجلس بجانبني. أقول له وأنا لا أزال تحت تأثير الصدمة:

- اقرأ.

أناوله الدفتر. يقرأ العنوان، والجمل الافتتاحية بصوتٍ مرتفع:

- "وحيّد كالتاريخ". هناك أوقات تشعر فيها بخواءٍ تامٍّ، حتى وأنا مُحاطٌ بأعداد هائلة من البَشَر. عندها، تكون الوحيد في الكون بأسره الذي تدرك أنك موجود. أنت الذي رصف طريق الوحدة بالحجارة..

سكّت "فرات"، وواصل القراءة في صمت، ثم بدأ يقلب بقيّة الصفحات، يقرأ مقطّعًا من هنا، وآخر من هناك. لاحظ أن أبي قد قام بنسخ كتاب "حسن وفا كراداجلي" كلمةً كلمةً، في دفاتره. في بقيّة الدفاتر، عثرنا على نصّ رواية "وحده الحبُّ يبقى معك". لم نصدّق تلك الصّدفة. يبدو أن أبي كان يقرأ الكتب ذاتها، مثلنا. لا بدّ أنها مسّت روحه، مثلما حدث لنا، وهو ما يفسّر حرصه على نسخها بدقّة، ربما كي يستوعبها أكثر. في الواقع، لم أتخيّل يومًا أن لأبي القُدرة على قراءة مثل هذه الروايات. وللمرّة الثانية، في اليوم ذاته، يعدّبني إحساسٌ قويٌّ بالنّدم، لأنني لم أعرف عنه الكثير. فتتّش "فرات" البيت بحثًا عن نسخٍ للروايتين، لكنه لم يعثر على واحدة. في تلك الأثناء، اعتصرني الألم من جديد، لقد أقام أبي في هذا البيت خمس سنوات

كاملة، ولم أدخله مرّة. لم آتي إلا بعد أن انتهت حياته. لا جدوى من
ندمي وآلامي الآن.

صباحًا، في طريقنا إلى "إسبرطة"، رافقنا عدد من أهل القرية
للمشاركة في الجنازة. وصلنا إلى المقابر مع اقتراب الظهر. تمّ الدفن
بعد صلاة الظهر. أتى كثير من الناس. أكثر ممّا كنتُ أتوقّع. جاء جميع
الأقارب من الطرفين، كما حضر عددٌ كبير من أصدقاء والدي. لم أستطع
تمييز أغلبهم. كان قد مرَّ وقتٌ طويلٌ للغاية منذ رأيتهم. حرص الجميع
على تعزيتي ومواساتي. أمام أحزانهم الصادقة، تجددتُ إحساسي بالخزي
والندم.

بعد انتهاء الدفن، غادر الناس تبعًا. أخبرتُ "فرات" بأنني أودُّ
المكوث لبعض الوقت. وقف معي أمام قبري والديّ، شابكًا ساعده في
ذراعي. انصرف الجميع، عدا شخص واحد، ظل واقفًا على مقربةٍ منّا.
التفتُّ نحوه، وأحسستُ أن ملامحه مألوفة، لكنني لم أستطع تمييزه

بالضبط. تقدّم نحونا مؤاسياً. شكرته. أحسستُ بأنني أعرفه، لكنني أحجمتُ عن سؤاله مَنْ يكون، حتى لا أبدو فظةً. لاحظ حيرتي، فقال:

- أنتِ لا تعرفينني على الأغلب، لكنني كنتُ صديقاً للمرحوم والدك منذ الطفولة. ذهبنا إلى المدرسة معاً، لكنه ترك التعليم عقب إنهائه للمرحلة الإعدادية، بينما واصلتُ أنا دراستي، والتحقّت بجامعة "إزمير". سافرتُ كثيراً بحُكم عملي، لكنني مع ذلك بقيتُ على اتّصال بأبيك. تقاعدتُ منذ بضع سنوات، وعدتُ لأستقرّ في "إسبرطة". كنتُ أزوره في "فينيقيه"، بين الحين والآخر، وأقضي معه أيام عدّة في كل مرّة. نصاد فيها السمك، ونسهر الليل نتبادل الأحاديث.

أضاف مُتنهّداً:

- كُنّا قريبيّن من أحدنا الآخر.

قُلْتُ بحرارة:

- أنا سعيدة حقًا بأن ألتقي أحد أصدقاء أبي. أتمنى لو تعارفنا من قبل.

ناولني بطاقة عمل، وقال:

- ندير مؤسسة خيرية في "إسطنبول".

أردف ضاحكًا:

- مُرِّي بي إن استطعتِ، لأخبركِ شيئًا أو أكثر عن والدك.

حين قرأنا اسمه، صاح كلانا بدهشةٍ بالغة:

- إنه هو! غير معقول!

لم يكن الرجل الواقف بجوارنا سوى "حسن وفا كراداجلي"، كاتبنا

المُفضَّل. قال له "فرات":

- ملامحك مألوفة إذن بسبب صُورك على الكتب!

قُلْتُ بحماس:

- تَشَرَّفْتُ بِلِقَائِكَ. الْحَقِيقَةُ أَنَّي لَا أزال غير مُصَدِّقَةٌ بِأَنَّكَ كُنْتَ
صَدِيقًا لِأَبِي مِنْذِ الطُّفُولَةِ! نَحْنُ نَعشِقُ رِوَايَاتِكَ. لَقَدْ مَسَّتْ حَيَاتِنَا
بِشَكْلِ لَنْ تَتَخَيَّلَهُ.

بدا الرجل أكبر من صوره المنتشرة. لا بدَّ أنها قديمة. ظهر الأسي على
وجهه، لا شكَّ في أن موت أبي أحزنه بشدَّة. اقترب منِّي "حسن وفا"،
ونظر إليَّ قائلاً:

- أَنْتِ مُخَطَّئَةٌ يَا عَزِيزَتِي. إِنَّهَا لَيْسَتْ رِوَايَاتِي. أَخَذْتُ كُلَّ كَلِمَةٍ مِنْهَا
مِنْ دِفَاتِرِ أَبِيكَ.

في بادئ الأمر، ظننته يمزح. لكنه بدا جاداً. استطرد شارحاً:

- في الأعوام القليلة الماضية، سكب والدك كل مشاعره وأفكاره في
تلك الدفاتر الموجودة في كوخ "فينيقيه". كلما زرتَه، قرأ عليَّ ما كتبه.
وجدتُ كتاباته حسَّاسة وصادقة للغاية. حاولتُ إقناعه بنشرها، ووافق
بصعوبةٍ بالغة، تحت شرطٍ واحدٍ. قال لي حينها:

- لا أريد أن يُكتَب اسمي عليها. أرغب حقاً في الحفاظ على حياتي هادئةً كما هي، هنا في "فينيقيه". إذا أردتَ نشرها، لا بأس، فلتفعل ذلك تحت اسمك أنت، ولتتعامل أنت مع الفوضى والإزعاج وكل ما سيَتبع مرحلة النشر!

أخبرتهُ بأنني مُوافق، ووضعتُ له بدوري شرطاً. قُلْتُ له:

- لا مانع، ولكن إن لاقَت أعمالك نجاحاً، وبيعت بأعدادٍ كبيرةٍ، فإن ريعها سيذهب لدعم الأدباء الشباب، ولن نلمس منه قرشاً واحداً.
أردف "حسن وفا":

- وهكذا، اتَّفَقنا. في غضون عامين نُشِرَ الكتابان، وكما توقَّعتُ احتلَّ المراتب الأولى في قوائم الكُتُب الأفضل مبيعاً. والتزاماً بما اتَّفَقنا عليه، استخدمنا المال في إنشاء مؤسسة خيرية لشباب الأدباء، في "إسطنبول".
أنهى كلامه بابتسامةٍ عريضةٍ. أنصتنا إليه بصمت، في دهشةٍ واستغرابٍ. صافَحنا مُودَعاً:

- قوما بزيارتي في المؤسسة.

التفت نحوي، وقال:

- على فكرة، لقد ترك والدك تلك الدفاتر لك. لم يشأ أن أخبرك وهو على قيد الحياة، وجعلني أقسم بالله بألا أخبر أحداً غيرك. تلك الدفاتر قيّمة. إنها ليست مجرد مجموعة من الأوراق. إنها شهادته وخلاصة خبرته، التي تركها لك وللإنسانية بشكلٍ عامّ.

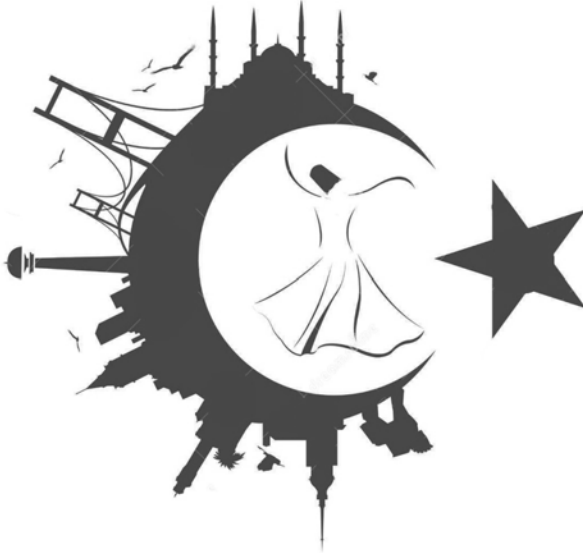
غادر المقبرة بخطواتٍ مُتمهّلة.

واصلتُ تأمّل قبر أبي، ثم نظرتُ إلى "فرات". انحنيتُ على الأرض، وتناولت قبضةً من التراب، ووعدتُ أبي بعدم الخضوع لأيّ شيء يُشعِرني بالخزي والنّدم، أبداً.

ملحوظة: العنوانان المختاران لروايتي البطل في هذه القصة، هما من أبياتٍ للشاعر "مرادخان مونجان".

12

نهايةٌ رائعةٌ



كان اجتماعًا طويلًا في مقرِّ البلدية. إنه في طريقه للبيت، مُمتلئًا
بالسَّعادة والحماس. عَبَرَ البوَابَةَ، فوجد أُمَّه في مكانها المُعتاد في
الحديقة، تعتنني بمزروعاتها من الخضروات. تسَلَّل وراءها بخفَّةٍ، ثم
أحاطها بذراعيه وطبع قُبْلَةً على خَدِّها. أخافتها المفاجأة، حتى كادت
تسقط أرضًا، لولا أن احتضن ابنها جسدها الضعيف. قالت له:

- ما الأمر يا بُنَيَّ؟ لقد أرعبتني!

أضافت مُمازحةً:

- يبدو أن مزاجك جيد اليوم.

- خبر حلو.. سأسافر إلى أمريكا لحضور مؤتمر هناك. وقع اختيار

مجلس البلدية عليَّ.

بَلَّل الدَّمْعَ عينيها. نظرت إلى ابنها بالفخر ذاته الذي أَحَسَّت به حين

سافر للالتحاق بكُلِّيَّة الطب، ومرةً أخرى حين عاد بعد سنوات

إلى بلده للعمل طبيًّا. كانت حاملاً به، عندما قتلوا زوجها. لم

تتحسّن أحوالها إلا بعد سنوات من الأُم والمُعانة. عندما بلغ ابنها سنّ الالتحاق بالمدرسة، قام مجلس البلدية ومجالس الأحياء بتأسيس مدارس جديدة، يتمّ التعليم فيها بلُغتهم الأصلية. التحقت هي نفسها بمدرسةٍ منها، لتتعلّم القراءة والكتابة، أخيراً. هُنا، على ضفاف "دجلة"، حيث ازدهرت الحضارات القديمة، تمّ منح أراضٍ زراعيةٍ لكُلّ من يُريد، تشجيعاً للسُّكّان على مُمارسة الزراعة. حُفرت قنوات ريّ جديدةٍ، تنقل مياه "دجلة" إلى الحقول والحدائق، مباشرةً. قامت مجالس الأحياء بتأسيس جمعيات تعاونية، لبيع منتجات السُّكّان وبضائعهم، وبذلك لعبت هذه الجمعيات دوراً مُهمّاً في تنشيط تربية الحيوانات، وإعادة أحياء الصناعات اليدوية والمحليّة، بالإضافة إلى تشجيع القطاع السياحي. صارت كل بلدةٍ في المنطقة تتمتّع بالاكْتفاء الذاتي، وبذلك فهم السُّكّان معاني العِزّة والكرامة. تلاشت عيوب الأزمنة الماضية، ولم يَعدّ الناس يرزحون تحت وطأة الفساد والرشاوى والسرقة والدعارة. تقدّم المجتمع بخطواتٍ سريعةٍ. أدرك

أفراده بأن عليهم أن يتكاتفوا، كي تنشأ الأجيال الأصغر سنًا على مبادئ أخلاقية وقيم سياسية أكثر قوّة وفاعلية. عرفوا أن مسألة التغيير لن تكون سهلة على الإطلاق، وأن التخلّص من الإرث القديم من العادات السيئة لن يتحقّق في خطوة واحدة، ولذلك قرّروا بناء حيواتهم طوبهً طوبه. إنهم على وشك جعل البطالة والفقر شيئين من الماضي. في سبيل تحقيق نموذج ديمقراطي للاقتصاد الاجتماعي، عملوا على تخطّي عوائق كثيرة، ونجحوا في تأسيس نظام جديد اتّخذه العالم قُدوةً له، في النصف الأوّل من القرن 21. قاموا باستغلال الطاقة الشمسية وطاقة الرياح لتزويد المدينة بالطاقة المتجدّدة. أمّا سياسات التّطوّر المدّني، فقد حافظت على احترام الطبيعة والتاريخ معًا. الرعاية الصحيّة مجانيّة، ومُتاحة للجميع. النظام القضائي عادل ومُنصف. تعتمد مجالس الشعب على مبادئ الديمقراطية المباشرة، وتتعامل مع الأمور المختلفة بعقليّاتٍ مُفتّحة، وبخاصّة تلك المتعلّقة بالنوع الاجتماعي (الجنّدره) ومسائل الإيمان وأنماط الحياة.

لفتت كل هذه المسائل أنظار العالم، واجتذبت إعجاب الجميع. مهّدت إنجازاتهم الطريق للسلام الاجتماعي، ليس في منطقتهم فحسب، بل في البلد بأكمله. والآن، على الرغم من ماضيها الأليم، فقد صارت مثلاً يُحتذى به في التّعائش السّلمي، ممّا أكسبها احترام العالم بأجمعه.

عقب تخرّجه في كُلية الطب، عاد ابنها إلى مدينته، حيث قام المجلس بتعيينه في المركز الصحيّ العامّ. سرعان ما أثبت ابنها، الذي يحظى بمحبّة كل من حوله، براعته الفائقة كطبيب، وانتشرت سمعته بين الناس كشخص متعاون وخبير، ومجتهد، ومتواضع كذلك.

في الانتخابات السنوية لمجلس البلدية، تمّ اختياره أوّلًا كمستشار، ثم كمتحدّث رسميّ باسم المجلس. وعلى الرغم من حماسه لأنشطته الاجتماعية، فإن ذلك لم يؤثّر مطلقًا على عمله كطبيب. لطالما سعى للوصول إلى المكانة التي احتلّها والده وعمّه، اللذان لم يتسنّ له لقاؤهما أبدًا، وها هو يوشك على تحقيق ذلك.

وجَّهت جامعة "هارفرد" دعوة لمجلس البلدية، كي يقوم بترشيح شخص يسافر إلى "بوسطن"، للحوار حول النموذج الناجح الذي تُقدِّمه المدينة للحُكم المحلي. وفي اجتماع اليوم، وقع اختيار المجلس عليه.

وعلى الرغم من أن المؤتمر لن ينعقد قبل شهر كامل، فإن الطبيب لم يستطع السيطرة على حماسه البالغ. للمرَّة الأولى، خلال عُمره المُمتد لـ 28 سنة، يذهب إلى أمريكا. عدا عن رحلة قصيرة إلى "لندن" لإنهاء دورة في اللغة الإنجليزية، فإنه لم يسافر إلى الخارج كثيراً. فكرة تمثيل شعبه، والحديث عن إنجازاتهم، ضاعفت من حماسه وسعادته. ولذلك، فإنه ما إن سمع الخبر، حتى بدأ في التفكير بما سوف يقوله، وسرعان ما أخذ يكتب كلمته. قُبيل سفره، قرأ الكلمة على أعضاء المجلس، فقبول بتصفيقٍ حادٍّ.

سيتوجَّه من مطار البلدة إلى "إسطنبول"، ومن هناك إلى أمريكا. صباح سفره، طلب من صديقه "باور" الذي كان يُقلِّه إلى المطار، أن

يتوقّف في المقبرة أوّلًا. اصطحب معه بعض الأزهار من حديقة المنزل،
وزعها على أكبر عددٍ من القبور، مُحفظًا بزهرتين وضعهما على قبرين
مُتجاورين. اختنق صوته بمزيجٍ من الحزن والفخر، وهو يقول:

- رحمكما الله..

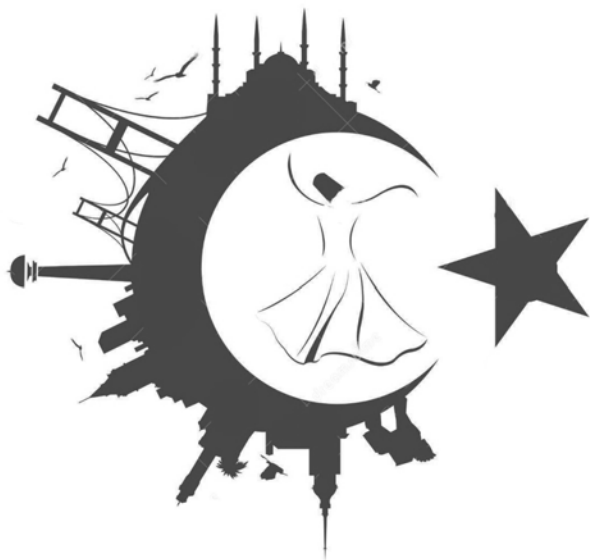
على الشّاهدين، كُتِبَ اسمي والده "أحمد تونّتش"، وعمّه "محمد
تونّتش".

في المطار، عانق "باور" صديقه الطيب بقوة:

- تصل بالسّلامة يا "بيكيز". استمتع برحلتك، أنت مُسافرٌ بالنيابة
عنا جميعًا.

كَبُرَ "بيكيز" ابنًا للشعب، مُحاطًا بمحبّة ورعاية كُُلِّ مَنْ حوله،
والمُفارقة أن ذلك يتناقض مع اسمه الذي يعني "يتيم".

بينما كان "بيكيز" يُلَوِّح مُودِّعًا صديقه، أرسلتْ شمس بلدة "جزرة"
أشعَّتْها الحارقة في كل مكان، مُعلِنَةً بدءَ يومٍ جديدٍ على ضفاف نهر
"دجلة".



الفهرس

5	الذَّكر بداخله
19	قصة "سحر"
45	الخدمة "نازان"
71	ليس الأمر كما تظنُّون
93	تحية للعيون السود
105	خطاب للجنة قراءة الرسائل في السجن
117	عروس البحر
123	حلب المهروسة
137	انظري ماذا فعلتِ يا "آسومان"!
159	تصفية حسابات
169	وحيدٌ كالتاريخ
207	نهاية رائعة

صدر من سلسلة كتب مختلفة:

1. أرامل الخميس كلاوديا بينيرو الأرجنتين
2. اسمي نور إلسا أوسوريو الأرجنتين
3. جريمة في بوينس آيرس كلاوديا بينيرو الأرجنتين
4. كلي لك كلاوديا بينيرو الأرجنتين
5. نقطة الصفر ناريج ماليان أرمينيا
6. مشروع روزي جرايم سيمسيون أستراليا
7. قصص بسيطة: رواية من ألمانيا الشرقية إنجو شولتزة ألمانيا
8. لأننا في مكان آخر رشا الخياط ألمانيا
9. الثلاثة سارة لوتز إنجلترا
10. الموت والبطريق أندريه كيركوف أوكرانيا
11. تاتي كريستين دوبر هيكي أيرلندا
12. جريمة الساحر أرني ثورارينسون أيسلندا
13. شركة الحب المحدودة أندريه سنار ماجنسون أيسلندا
14. الحب لم يعد مناسباً ميلا فينتوريني إيطاليا
15. حذار من جوعي لوتشانا كاستيلينا إيطاليا
16. سارق الجثث باتريسيا ميلو البرازيل
17. السيمفونية البيضاء أدريانا ليسبوا البرازيل
18. مقبرة البيانو جوزيه لويس بايشوتو البرتغال
19. نيزك في جالفائش جوزيه لويس بايشوتو البرتغال
20. أن تأتي متأخراً ديميتري فيرهولست بلجيكا
21. صانع الملائكة شتيفان بريجش بلجيكا
22. مخاوفي السبعة سلافيدين أفيدتش البوسنة
23. جامع الكتب جوستابو فابرون باترياو بيرو
24. أبسنت أيفر تونش تركيا
25. أحلام محطمة بيولنت سينوكاك تركيا
26. ارحل قبل أن أنهار تونا كيرميشي تركيا
27. امرأة صديقي تونا كيرميشي تركيا
28. توباز هاكان جنيد تركيا
29. ثلاثة على الطريق تونا كيرميشي تركيا
30. جريمة في البوسفور أسمهان أيكول تركيا
31. جريمة في إسطنبول أسمهان أيكول تركيا

تركيا	برهان سوغميز	خطايا الأبرياء	.32
تركيا	ماين كيركانات	ديستينا	.33
تركيا	صلاح الدين ديمرتاش	سحر	.34
تركيا	هاندي ألتايي	الشیطان امرأة	.35
تركيا	تونا كيرميشي	الصلوات تبقى واحدة	.36
تركيا	هاندي ألتايي	لون الغواية	.37
تركيا	سولماز كاموران	مينتا	.38
تركيا	مجموعة قصصية	نساء إسطنبول	.39
التشيك	ميلوش أوربان	جرائم براج	.40
التشيك	بيترا هولوفا	حدث في كراكوف	.41
التشيك	باتريك أورشانديك	حُفِظَت القضية	.42
التشيك	مارك سينديلكا	خريطة أنا	.43
التشيك	سوزانا برباتسوسفا	ديتوكس	.44
التشيك	إميل هاكل	سرادق طائر البطريق	.45
التشيك	فرانز كافكا	كافكا	.46
التشيك	ياخيم توبول	معسكرات الشيطان	.47
التشيك	فاتسلاف هافل	المواطن فانيك	.48
الجبل الأسود	أوجنين سباهيتش	المبعدون	.49
جواتيمالا	دافيد أوجنر	العقل المدبر	.50
زيمبابوي	بيروني رحيم	شمس سبتمبر	.51
سلوفاكيا	أورشولا كوفالبيك	امرأة للبيع	.52
سلوفاكيا	مجموعة قصصية	خلف طاحونة الجبل	.53
سويسرا	ميرال قريشي	الحياة هنا	.54
سويسرا	يوناكس لوشر	ربيع البربر	.55
سويسرا	يوناكس لوشر	كرافت	.56
صربيا	فلاديمير بيستالو	الألفية في بلجراد	.57
الصين	شيو تسي تشين	بكين.. بكين	.58
الصين	يي ماي	بنات الصين	.59
الصين	تشيه زيه جيان	الربع الأخير من القمر	.60
الصين	جوو دا شين	رحلة الانتقام	.61
الصين	يي ماي	سبع ليالٍ في حدائق الورد	.62
الصين	يركسي هولماننيك	النجمة الحمراء	.63
الصين	جين رن شون	رقصة الكاهنة	.64

فرنسا	إريك نويوف	المغفلون	.65
فنلندا	صوفي أوكسانين	التطهير	.66
فنلندا	آكي أوليكائين	الجماعة البيضاء	.67
كرواتيا	ماريا تاسلر	عقيدة الأغنياء	.68
كولومبيا	إيكتور آباد	النسيان	.69
مقدونيا	إيرميس لافازوناوفسكي	صانع الزجاج	.70
مقدونيا	بلايز ماينفسكي	القنّاص	.71
مقدونيا	توميسلاف عثمانلي	الواحد والعشرون	.72
النرويج	إنجفار أمبيورنسون	إلينج	.73
النرويج	روي ياكوبسن	صيف بارد جداً	.74
النمسا	فريدريكه جيرزفايتر	حرية حزينة	.75
النمسا	ميلينا ميتشيكو فلاشر	سميته كرافقة	.76
الهند	روبا باجوا	دگان الساري	.77
هولندا	تومي فيرينيجا	جوي سيدبوت	.78
هولندا	هيرمان كوخ	العشاء	.79
هولندا	هيرمان كوخ	المنزل الصيفي	.80
هولندا	تومي فيرينيجا	تلك الأسماء	.81

صدر من كتب عامّة:

- | | | |
|----------|-------------------|--|
| إسبانيا | خورخي كاريون | 82. زيارة لمكتبات العام: أشهر مكتبات بيع الكتب |
| ألمانيا | جيرالد هوتز | 83. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟ |
| ألمانيا | كريستوف بيترز | 84. الشاي: ثقافات وطقوس وحكايات |
| ألمانيا | هوبرتس هوفمان | 85. قانون التسامح |
| ألمانيا | فولفجانج باور | 86. المختطفات: شهادات من فتيات بوكو حرام |
| ألمانيا | فولفجانج باور | 87. هاربون من الموت |
| أمريكا | روبرت ماكنمارا | 88. الهاشميون وحلم العرب |
| أيسلندا | جون جنار | 89. القرصان الأيسلندي |
| أيسلندا | جون جنار | 90. الهندي الأحمر الأيسلندي |
| إيطاليا | جوفانا لوكاتيلي | 91. يوميات صحيفة إيطالية |
| البرتغال | إيسا دي كيروش | 92. خيالات الشرق |
| بلجيكا | دافيد فان ريبروك | 93. ضد الانتخابات: دفاعاً عن الديمقراطية |
| التشيك | باتريك أورشادنيك | 94. أوروبا |
| التشيك | فاتسلاف هافل | 95. قوة المستضعفين |
| الصين | مايكل ديلون | 96. مختصر تاريخ الصين |
| فرنسا | أنطوان لاريس | 97. لن أمنحكم كراهيتي |
| فرنسا | جي. إم. لو كلوزيو | 98. النشوة المادية |
| كولومبيا | أوسكار بانتوخا | 99. جابو |
| النرويج | ثور جوتاس | 100. الجري |
| هولندا | دوي درايسما | 101. عقول مريضة |
| هولندا | يوريس لونديك | 102. اللعب مع الكبار |

يصدر قريباً: من سلسلة كتب مختلفة:

1. في حب بابلو وكراهية إسكوبار
 2. عندما تنثور الشعوب
 3. الحب في الأفلام
 4. اليوم الرابع
 5. أيام رائعة
 6. منزلنا في الأناضول
 7. الأشياء الأولى
 8. خريطة أنا
 9. بال خالٍ
 10. يوغوسلافيا وطني
 11. الأخ الكبير
 12. دجاج مشوي
 13. صلوات ليلية
 14. لم يبق أحد
 15. قصص خيالية
 16. دكتور مينجوس.. الأخ الكبير
 17. فرق التوقيت
- إسبانيا فيرجينا فالاجيو
ألمانيا جيرو فون راندوف
أمريكا فيكتوريا فان تيم
إنجلترا سارة لوتز
البرازيل رافاييل مونتييز
البرازيل تاتيانا سالم ليفي
البرتغال برونو فييرا أمارال
التشيك مارك سينديلكا
روسيا أولجا سلافينكوفا
سلوفينيا جوران فوجنوفيتش
فرنسا ماهير جوفان
فرنسا صوفي هيناف
كولومبيا سانتيجو جامبوا
المجر أندريس فورجاش
مقدونيا ألكسندر بروبوكيف
المكسيك خيسوس ريكاردو فيليكس
النمسا ألموت تينا شميت



"لا تقلق يا بني. المسألة تحت السيطرة! ولكن حينما تحلم بشيء، فإنك تُغمض عينيك، عادة. بتلك الطريقة، يفشل الآخرون في رؤية حلمك ومعرفته. إنك تخبئ الحلم حتى عن نفسك. شخصيتك الحقيقية هي الإنسان الذي تكونه في الحلم".

"سُخّر" مجموعة قصصية تركية تحكي واقعا مظلمًا لكثير من المجتمعات، لكنها لا تدعك تستسلم لليأس وتُغلق قبضتك من الإمساك بالحلم والأمل. إنها مجموعة من القصص تمزج بين الحب والفكاهة والطموح والسياسة، وتعكس صرخة مشاعر في وجه الظلم والألم، مجموعة قصصية إنسانية في المقام الأول قبل أن تكون سياسية. ورغم الاختلاف الكبير بين السياسة والفن، فإن صلاح الدين دميرتاش يجمع بمهارة بينهما في هذه المجموعة القصصية.

صلاح الدين دميرتاش



ولد عام 1973 في مدينة معمورة العزيز شرق تركيا. وهو سياسي كردي، وزعيم حزب الشعوب الديمقراطي اليساري الكردي. تخرج في كلية الحقوق في جامعة أنقرة ومارس المحاماة مباشرة، كما كان عضوًا لفترة في اللجنة التنفيذية لفرع دياربكر لمنظمة حقوق الإنسان التركية التي تأسست عام 1986. قبل أن يتأخره ثم يشكل مع آخرين جمعية حقوق الإنسان التركية ويؤسس مكتب دياربكر لمنظمة العفو الدولية. بدأ حياته السياسية عضوًا في حزب "الديمقراطي" اليساري الكردي عام 2007 ونائبًا عنه في البرلمان قبل أن تحظره المحكمة الدستورية العليا عام 2009 بحجة ارتباطه بحزب العمال الكردستاني. أصبح لاحقًا نائبًا عن حزب "السلام والديمقراطية" اليساري الكردي الذي حظرت المحكمة للأسباب ذاتها، ثم أسس مع الصحفية والناشطة النسوية فيجي يوكسيكداغ حزب "الشعوب الديمقراطي" عام 2014 الذي يحاول تجميع أجنحة اليسار السياسي في حزب واحد. خاض دميرتاش الانتخابات الرئاسية التركية عام 2014 وحل ثالثًا بـ9.77% من الأصوات. وهو أحد المرشحين لرئاسة تركيا في الانتخابات الرئاسية 2018، رغم كونه مسجونًا منذ نحو 20 شهرًا بتهم أمنية وليس هناك حكم بالإدانة ضده.

قهر سجن معاناة
حلب ظلم تركيا
فساد صراع



www.alarabipublishing.com.eg



9 789773 194512 >



60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27947566 - فاكس: 27921943 - 27954529
www.alarabipublishing.com.eg